

J A D A L

الأكثر مبيعا في نيويورك تايمز  
NEW YORK TIMES BESTSELLER

# مايا أنجلو



## رسالة إلى ابنتي

ترجمة: منير عليمي



منشورات جدل  
JADAL PUBLISHING

**رسالة إلى ابنتي**

# رسالة إلى ابنتي

مايا أنجلو

ترجمة: منير عليبي

العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية

Letter to My Daughter

By Maya Angelou

2009

الطبعة الأولى: أغسطس 2022م

ISBN: 978-9921-774-77-1

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر ©

copyright©2008 By Maya Angelou

Penguin Random House, 2009

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر. اعملوا معنا في نشر وعي الحفاظ على حقوق الطبع والنشر، لنجعل عملية الإبداع أكثر أماناً.



منشورات جدل ©

JADAL PUBLISHING

دولة الكويت

المملكة العربية السعودية

جمهورية مصر العربية

(+965) 99900912

(+966) 554658820

WWW.JADALBOOKSTORE.COM

JADAL.PUBLISHING

JADALBOOKSTORE

J A D A L

**مايا أنجلو**

**سير ومذكرات**

**رسالة إلى ابنتي**

**ترجمة**

**منير عليمي**

## رسالة إلى ابنتي

ابنتي العزيزة،

لقد أمضيتُ وقتاً ممتعاً في كتابة هذه الرسالة التي وُلدت في النهاية بين طيات هذا الكتاب. كنتُ أعلمُ دائماً أنَّ رغبةً ما في داخلي تدفعني إلى إخبارك مباشرة ببعض الدروس التي تعلّمتها وتحت أيِّ ظروفٍ تلقّيتها.

كانت حياتي طويلةً، وكنتُ مؤمنةً بأنَّ الحياة تُجزى من يعيشُ تفاصيلها بفيض من الحبِّ. عليك أن تعلمي جيِّداً، أنَّ جرأةً كبيرةً دفعتني إلى القيام بأشياء كثيرة، فكنتُ أرتعشُ أحياناً وأنا أقتربها، ومع ذلك لم تخمد نيران الجرأة في داخلي. تطرقتُ في هذه الرسالة إلى الأحداث والدروس التي وجدتها مفيدةً. لم أخبرك كيف وظّفتُ الحلول لأنني أعلمُ أنكِ ذكيّة بما يكفي ومبدعة وواسعة الحيلة لتوظفيها في ما تريه مناسباً.

ستجدين في هذا الكتاب قصصاً حول نشأتي في هذه الحياة، وحوّل ظروفٍ حرجية ومفاجئةٍ مررتُ بها إضافة إلى قصائد قليلة. ستجدين بعض القصص التي تجعلك تضحكين وقصصاً أخرى تجعلك تتأمّلين.

كانت حياتي مليئةً بأناسٍ علّمني دروساً قيّمةً، وإلى الآن يعنون لي الكثير، في المقابل كنت محاطةً بأناسٍ آخرين، يصيبونني بالغثيان ويشعرونني على الدوام بأنَّ عالمي محالٌّ أن يكون سلساً وجميلاً.

اقترفتُ أخطاء كثيرة، وبلا شك سأقترف الكثير من الأخطاء قبل أن أموت. تعلّمتُ حين يتملّكني الألمُ وأتحسّسُ الفشل وهو يوقظُ الحزن في داخلي، أن أتحمّل مسؤوليتي وأغفرَ لنفسي أولاً ثم أعتذر إلى أيِّ شخصٍ تأذى من اعتقاداتي. بما أنني لا أستطيع إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، وبما أن توبتي هي كلُّ ما أستطيع أن أقدمه إلى الله، تتملّكني آمالٌ بأنَّ اعتذاراتي الصادقة مستجابة.

لا يمكنك التحكم في جميع الأحداث التي تحدث لك، ولكن يمكنك أن تقرري عدم الخضوع لها. حاولي أن تكوني قوس قزح ينعكس فوق غيوم شخصٍ ما. لا تشتكي. ابذلي

قصارى جهدك لتغيير الأشياء التي لا تحببها. إذا لم تتمكني من إحداث تغيير ملموس، عليك حينها أن تُغيّري الطريقة التي كنت تفكرين بها. قد تجدين حلاً جديداً.

لا تنئي. الأنينُ يخبرُ الوحشَ بأنَّ الضَّحِيَّةَ على بعد خطواتٍ منه. كوني متيقِّنةً من أنَّك لن تموتي قبلَ أن تقدّمي شيئاً رائعاً للبشرية.

أنجبت طفلاً ذكراً، لكن، كان لديّ آلاف البنات. أنت بيضاء وسوداء، يهودية ومسلمة، آسيوية، ناطقة بالإسبانية، أمريكية أصلية وألوت. أنت بدينة ونحيفة وجميلة وعادية، مثلية وسوية، متعلّمة وغير متعلّمة. أنا أكتبُ إلى جميع الفتيات وأتحدّثُ إليهنَّ جميعاً فيك. وهذه هديتي لك.

## الوطن

ولدتُ في سانت ميزوري ولكنني منذُ الثالثة، نشأتُ في ستامبز في أركنسا مع جدتي من الأب، آني هندرسون وعمي ويلي وأخي الوحيد بايلي.

حين بلغت الثلاثين، التحقتُ بأمي في سان فرانسيسكو ثم سافرت إلى نيويورك حيث درستُ. لقد عشت طيلةً هذه السنوات بينَ باريس والقاهرة وغرب إفريقيا وجميع أنحاء الولايات المتحدة.

هذه حقائق، لكن الحقائق، للطفل، هي مجرد كلمات للحفظ، «اسمي جوني توماس. عنواني هو 220 سنتر ستريت». كل الحقائق التي لا علاقة لها بحقيقة الطفل.

كان العالم الحقيقي الذي نشأت فيه في ستامبز، عبارة عن صراع مستمر ضدَّ فرضية الاستسلام، الاستسلام أولاً للمبالغين الذين رأيتهم بشكل يومي، جميعهم سود وكلُّهم ببنية جسدية ضخمة، ثم الاستسلام لفكرة أن السود أقل شأنًا من البيض، الذين كنت أراهم إلا نادرًا.

من دون معرفة السبب بالضبط، لم أصدق أنني كنت أدنى من أي شخص باستثناء شخص واحد، ربما كان أخي. كنت أعلم أنني ذكية، لكنني كنت أعلم أيضًا أن بيلي كان أذكى، ربما لأنه ذكّرني بذلك كثيرًا، ورأى أنه - ربما - أذكى شخص في العالم. بلغ يقينه هذا، في التاسعة من عمره.

الجنوب، بشكل عام، وستامبز التي تقع في أركنساس على وجه الخصوص، تملك مئات من سنوات الخبرة في التقليل من شأن السود الكبار ونبعتهم بالأقزام المرضى نفسانيًا. كان يمكن للأطفال البيض والفقراء مخاطبة البالغين السود باسمهم الأول أو بأي لقب من وحي خيالهم.

حدّر توماس وولف في روايته الأمريكية الكبرى «لا يمكنك العودة إلى الوطن مرة أخرى». لقد استمتعت بالكتاب ولكنني لم أتفق مطلقًا مع العنوان. أعتقد أنه لا يمكن للمرء مغادرة الوطن. أعتقد أن المرء يحمل الظلال والأحلام والمخاوف، في الزوايا المتطرفة لعينه وربما في صرير شحمة الأذن. الوطن هو تلك المنطقة الفتية حيث يكون الطفل هو

الساكن الحقيقي الوحيد في الحيّ. الآباء والأشقاء والجيران هم مظاهر غامضة، تأتي وتذهب وتقوم بأشياء غريبة حول ذلك الطفل لا يمكن سبر أغوارها، المواطن هو الوحيد الذي يملك حق الاقتراع في المنطقة.

الجغرافيا، على هذا النحو، ليس لها معنى يذكر للطفل المتأمل. إذا نشأ المرء في الجنوب الغربي، فإن الصحراء والسماء المفتوحة تبدو طبيعية. نيويورك، مع المصاعد وقطار الأنفاق وملايين الناس، وجنوب شرق فلوريدا بأشجار النخيل والشمس والشواطئ هي لأطفال تلك المناطق كما كان العالم الخارجي، وكما سيظل كذلك على الدوام. بما أن الطفل لا يستطيع التحكم في تلك البيئة، فعليه أن يجد مكانه الخاص، وهي منطقة يعيش فيها فقط ولا يمكن لأي شخص آخر الدخول إليها.

أنا مقتنعة بأن معظم الناس لا يكبرون. نجد أماكن لوقوف السيارات ونجل بطاقات الائتمان الخاصة بنا. نتزوج ونتجرأ على إنجاب الأطفال وندعو هذا نموًا. أعتقد أن ما نقوم به علامة من علامات الشيخوخة في أغلب الأحيان. نحمل تراكم سنوات في أجسادنا وعلى وجوهنا، ولكن بشكل عام، ما تزال ذواتنا الحقيقية، والأطفال الذين في داخلنا، أبرياء وخجولين مثل شجرة الماغنولية.

قد نتصرف بأسلوب معاصر، له أبعاده الكونية، ولكنني أعتقد أن شعورنا بالأمان يتحقق عندما نغوص في ذواتنا ونعثر على الوطن، وهو المكان الذي لنا علاقة به وربما المكان الوحيد الذي ننتمي إليه.

## الأعمال الخيرية

إنّ الكتابة عن الإحسان إلى شخصٍ جُبِلَ على الكرم إنّما يذكرني بقسيسٍ يلقي عظته بشغفٍ على جوقةٍ مرتلينٍ لا ينقصُهُم من الاستقامة ولو مقدار ذرّة.. يشجعني ذلك على الكتابة لأنني أتذكر أنّه من وقتٍ لآخر، تحتجُ الجوقة إلى الارتقاء وإلى أن تُشكرَ على التزامها. يجب تشجيع تلك الأصوات على الغناء دائماً وبمشاعرٍ أرقى.

إنّ كلّ معطاءٍ أمريكيٍ يساهمُ بطريقته في إبقاء الحياة قائمة، مثل جمعية السرطان الأمريكية والهلال الأحمر وجيش الخلاص ومنظمة غودويل وجمعية فقر الدم المنزلي والجمعية الأمريكية اليهودية، الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين والرابطة الحضرية الأمريكية. ما تزال القائمة تشمل أسس الكنيسة، وبرامج الكنيس، وجمعيات المعبد الإسلامي، والأضرحة البوذية، والمجموعات، والمسؤولين، وأندية المدينة والنوادي الاجتماعية. ومع ذلك، فإن أكبر مبالغ من المال تأتي من المحسنين.

إنّ كلمة «العمل الخيري» مأخوذة من الكلمتين اليونانيتين «philo» والتي تعني المحب. وكلمة «anthro» التي تعني الجنس البشري. لذا، فإنّ المحسنين هم من محبي الإنسانية. ينون صروح مهيبه للناس للعمل فيها واللعب فيها. يقدمون مبالغ طائلة لدعم المنظمات التي تقدم خدمات صحية وتعليمية أفضل للمجتمع. هم الرعاة الرئيسيين للفنون.

إن ذكر الأعمال الخيرية يرسمُ الابتسامات على الوجوه، كما يقذفُ إحساساً عميقاً بتلقي ثروة جيدة غير متوقّعة من مصدرٍ سخّيٍ لكن مجهول الهوية.

هناك من يرغبُ في أن يرى نفسه مُحسناً. غالباً ما يتم تمثيل المحسنين من قبل اللجان والوفود. هم مفصولون عن الشخص الذي سيحظى بكرمهم. أنا لست عضواً في هذا التجمع. أفضل أن أعتبر نفسي فاعلة خير. القول الخيري في الواقع يمكن تعريفه في هذه المقولة:

« يبدو أن لديّ ما يفوق حاجتي ويبدو أن لديك أقلّ مما تحتاج. ولذا، أودُّ مشاركة هذا الفائض معك». سيكون الأمر جميلاً إذا كان فائضي مملوساً وسيكون جميلاً إذا لم يكن كذلك، لأنني تعلمت أن العمل الخيري الذي يقوم على الإيماءات والكلمات يمكن أن يجلب فرحاً كبيراً ويصلح المشاعر الجريحة.

كان لجدتي من الأب التي ربّنتي تأثيراً ملحوظاً على كيفية رؤيتي للعالم وللمكان الذي أعيش فيه. كانت جدتي هي الكرامة المتجسّدة في أبهى صورها. كانت تتحدّث بهدوء وتسيرُ ببطء، ويدها خلف ظهرها، وأصابعها متشابكة. نجحتُ في تقليدِ حركاتها إلى درجة أن الجيران نعتوني بأنني ظلّها.

«الأخت هندرسون، أرى أنك أخذت ذلك معك مرة أخرى».

كانت الجدّة تنظر إليّ وتبتسم: «حسناً، أعتقد أنّك على حقّ. إذا توقّفت، تتوقف. إذا ذهبت، تذهب».

عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، أعادتني جدتي إلى كاليفورنيا لألتحقَ بالمدّة، ثمّ عادت على الفور إلى أركنساس. كان منزل كاليفورنيا بعيداً عن ذلك المنزل الصّغير الذي نشأت فيه في أركنساس.

كانت أمّي ذاتُ شعرٍ بتسريحة بوب أنيقة. لم تؤمن جدتي بشعرِ النساءِ المجمعِ والمثير، لهذا كبرتُ بصفيرة شعرٍ طبيعيّة. كانت جدتي تفتحُ لنا الراديو لننصتَ إلى الأخبار والأغاني الدّينية وبرنامج غانغ باسترز ولون رانجر.

في كاليفورنيا، وضعت والدتي أحمر الشفاه ووضعت موسيقا البلوز وموسيقا الجاز على جهاز الفونوغراف. كان منزلها مليئاً بالأشخاص الذين يضحكون كثيراً ويتحدّثون بصوت عالٍ. أنا بالتأكيد لم أكن معهم. كنت أتجوّل في ذلك المحيطِ الرّائعِ ويدي متشابكتان خلف ظهري، وشعري مسحوب إلى الخلف في ضفيرة ضيّقة، وأنا أدندن أغنية مسيحيّة.

راقبتني أمّي لمدة أسبوعين تقريباً وانتهى الأمر بحدّثٍ أضحى أمراً مألوفاً: «فلنجلس ونتحدّث».

قالت: «مايا، أنت ترفضيني لأنني لستُ في مقامِ جدّتك. هذا صحيح، أنا لستُ مثلَ جدّتك. لكنني أمك. أنا أعملُ وأقطعُ من روعي كي أشتري لكِ ملابسَ جميلة وأقدّمُ إليك طعاماً جيّداً وأحافظُ على هذا المنزل الذي يقيك. عندما تذهبن إلى المدرسة، سيبتسمُ المعلّمُ في وجهك وستجيبينه بابتسامة. سيبتسمُ في وجهك بقبّة التلاميذ الذين لا تعرفينهم وستبتسمين في وجوههم أيضاً. ولكن في الضفّة الأخرى ثمة أنا أمك. أنا أخبرك بما أريدك أن تفعلينه. إذا كنتِ تستطيعين اصطناعِ ابتسامة من أجل الآخرين فاصطنعي ابتسامة من أجلي. أعدك بأن أستحسن ذلك».

وضعت يدها على خديّي وا بتسمت وهي تقول: « هيا، حبييتي، ا بتسمي لأ مّك، هيا ا بتسمي ».

رسمت بإيماءاتها وجهًا مضحكًا، فاصطنعت ابتسامة دونَ رغبةٍ مني. قبلتني على شفّتيّ وبدأت في البكاء.

«إنّها المرّة الأولى التي أراك فيها تبتسمين. إنّها ابتسامة جميلة، ابنتي الجميلة تستطيع أن تبتسم».

لم يخاطبني أحدٌ يومًا بالجميلة ولم يعلق في ذاكرتي أن خاطبني أحدٌ بابنتي. في ذلكَ اليوم، علمتُ أنّي في وسعي أن أكونَ معطاءةً بمجردِ أن أرسَمَ ابتسامةً بسيطةً لشخصٍ ما. لقد علّمتني السّنوات التي تلت ذلكَ، أن كلمةً جميلةً أو الوقوف إلى جانب شخصٍ ما صدقةٌ جميلة. يمكنني أن أتحنّى جانبًا لأتركَ مكاني لشخصٍ ما. يمكنني أن أرفعَ صوتَ الموسيقى إذا كان الأمرُ سيسعدهُ أو أخفضَ الصّوت إذا كانت مزعجة.

ربّما لن أعرفَ على أنّي ناشطةٌ في الأعمالِ الخيريةِ ولكنني بالتّأكيد مُحبةٌ للإنسانيّة وسأهبُ كلَّ ما أملكُ للجميعِ بكلِّ حرّيّة. أنا سعيدةٌ بأن ألقبَ نفسي بالمحسنة.

## الوحي

كانت تلك أيام الوحي. تلك الأيام التي نطقَ فيها يوحنا اللاهوتي بوحى إلهي. اهتزت الأرض على وقع هدير القطارات الصاعدة والنازلة في جوفها المعتم.

احتلت السيّارات الخاصّة وسيارات الأجرة والحافلات والقطارات والشاحنات وعربات التسليم وخلّاطات الأسمنت وعربات التوصيل والدراجّات والزلاجات الهواء بضجيجها العالي وصفيرها، وصرخاتها، حتى بدا الهواء شديد الكثافة وثقيلًا مثل صلصة متخثرة. كان المكان مليئًا بأناسٍ من جميع الجنسيّات، يتحدثون بكلّ اللّغات المعروفة، أتوا إلى المدينة كي يشهدوا نهاية العالم وبدايته.

أردتُ أن أنسى بشاعة ذلك اليوم فذهبتُ إلى شارع فيلمور الخامس ومتجر دايم. كان متجرًا يمتدُّ على مساحة فدّانٍ حيث كانت الأحلام معلّقةً على رفوف بلاستيكيّة. كنت قد مشيت في الممرات ذهابًا وإيابًا ألف مرّة. كنت أعرف سحرها المغربي.

كانت تلك هي المدينة، عندما كنت في السّادسة عشر من عمري، كانت جديدة تمامًا مثل الفجر.

كان اليوم مهمًا جدًّا إلى درجة أنني كنتُ أتنفّسُ بصعوبةٍ. كان الصبي الذي يسكن في الشارع يطلب مني أن أكون حميمةً معه. لقد رفضت منذ شهور. لم يكن صديقي. لم نكن نتواعد حتّى.

خلال تلك الفترة، تحسّستُ خيانة جسدي. أصبح صوتي عميقًا ومليئًا بالحيويّة، ولم تعط صورتي العارية في المرآة أي تلميحات بأنّها ستصبح أنثويّة وممتلئةً.

كان طولي ستّة أقدام ولم يكن ثدياي بارزين. اعتقدت أنه ربما إذا مارست الجنس، فإنّ جسدي المتمرد سينمو ويتصرّف كما يجبُ.

في ذلك الصّباح اتّصل الصّبيّ هاتفيًا وأعطيتُهُ موافقتي. أعطاني عنوانه وقال إنّه سيقابلني هناك في الساعة 8:00 صباحًا. وافقتُ.

أعاره أحد الأصدقاء شقّته. منذ اللحظة التي رأيته فيها عند الباب، علمت أنني قد اتخذت القرار الخاطئ. لم تكن هناك أيّ كلمات محبّبة، وانعدمت المداعبات الدافئة.

قادني إلى غرفة نوم، حيث خلع كلانا ملبسه. استمرت الاشتباكات المتألثة خمس عشرة دقيقة، وفجأة وجدت نفسي أرتدي ملابسني وأجرُ خطايَ عند الباب الأمامي.

لا أتذكر إذا قلنا لكلانا وداعًا.

أتذكر أنني كنتُ أسير في الشارع، وفي روعي تحومُ أسئلةٌ كثيرة عما كان يحدثُ لحظتها وتمنيتُ فقط أن أغرقَ جسدي في حمامٍ ساخنٍ لوقتٍ طويلٍ. استحمتُ بعد ذلكَ ولكن لم يكن ذلكَ ما أردتهُ.

بعد أشهر من ذلكَ اللقاء، رُزقت بطفل جميل. لقد دفعتني ولادة ابني إلى اكتساب ما يكفي من الشجاعة لتطوير حياتي.

تعلمت أن أحبَّ ابني دون أن أرغب في امتلاكه وتعلمتُ كيف أعلمه أن يعلم نفسه.

اليوم، بعد أكثر من أربعين عامًا، عندما أنظر إليه وأرى كيف أصبحَ رجلًا رائعًا، زوجًا وأبًا محبًا، شاعرًا جيدًا وروائيًا رائعًا، مواطنًا مسؤولًا وأعظمَ أبناء العالم، أشكر الخالق لأنه وهبني

هذا الابن. ذلك اليوم الذي غيرَ حياتي كان نبوءةً، كان أعظم يوم في حياتي - هلولويا!<sup>1</sup>

كلمة عبرانية مكونة من كلمتين «سبحوا» و«يهوه» وتعني سبحوا يهوه.

## الولادة

نصحتني أخي بيلى بأن أبقى حملي سرّاً عن والدتي. قال إنّها ستخرجني من المدرسة وكنت على وشك التّخرّج. قال بيلى إنّهُ كان عليّ أن أحصل على شهادة الدّراسة الثّانويّة قبل أن تعود والدتي إلى سان فرانسيسكو من الملهى الليليّ الذي تملكه هي وزوجها في مدينة نومي بالأسكا.

لقد تلقيت شهادتي في يوم النّصر والذي كان أيضاً عيد ميلاد زوج أمي. ربّيت على كتفي في ذلك الصباح وهو يقول: «أنت تكبرينَ وتصبحينَ شيئاً فشيئاً امرأة شابةً ورائعة». قلت لنفسي إنني يجب أن أستمّر في هذا الحمل، أنا حامل في ثمانية أشهر وأسبوع واحد. بعد عشاء حميم احتفالاً بعيد ميلاده وبتخرّجي وانتصار وطني تركت ملاحظة على وسادته تقول: «أبي، أنا آسفةٌ لجلب العار إلى الأسرة، لكن يجب أن أخبرك أنني حامل». لم أنم تلك الليلة.

سمعت وقعَ قدمي والدي وهوَ في طريقه إلى غرفته حوالي الساعة 3:00 صباحاً. عندما لم يطرق بابي على الفور، غرقتُ في حيرةٍ حولَ ما إذا كان قد رأى المذكرة وقرأها. لم أنم ليلتها.

في الساعة 8:30 صباحاً تحدّثت على باب منزلي. قال: «عزيزتي، انزلي واحتسي القهوة معي، بالمناسبة، لقد تلقيت برقيتك». لم يكن صوته وهو يتعدّ عالياً مثل صوت دقات قلبي. قال وهو في الطابق السفليّ على المنضدة: «سوف أتصل بوالدتك. كم مضى على حملك؟». قلت، «لديّ ثلاثة أسابيع».

ابتسم: «أنا متأكّد من أنّ والدتك ستكون هنا اليوم». التوتر والخوف ليسا كلمات تصف بالكاد ما كنت أشعر به. قبل حلول الظلام، دخلت أمي الصغيرة الجميلة إلى المنزل. أعطتني قبلة ثم نظرت إليّ: «أنت حامل لأكثر من ثلاثة أسابيع».

قلت: «لا يا أمّي، أنا حامل منذُ ثمانية أشهر وأسبوع واحد».

سألتي: «من هو الصبي الذي أقيمتِ علاقة معه؟ هل تحيينه؟». قلت: «لا».

«هل يُحبُّك؟».

قلت: «لا، إنَّه الشَّخصُ الوحيدُ الذي مارست معه الجنس، لقد حدثَ ذلكَ مرَّةً واحدةً فقط».

قالت والدتي: «لا يوجد سبب لإفساد ثلاث أرواح؛ ستنجب عائلتنا طفلاً رائعاً».

كانت ممرضة معتمدة، لذا عندما بدأت المخاض مسَّحتني وأخذتني إلى المستشفى. لم يكن الطبيب قد وصل. قدَّمت الأم نفسها للممرضات وقالت إنها ستساعد في الولادة بصفتها ممرضة.

وقفت إلى جانبي على طاولة الولادة وجعلتني أثني ساقي. وضعت كتفها على ركبتي وروت لي قصصاً مضحكةً. عندما بدأت الآلام، كنتُ أضحك وهي تهمسُّ قائلةً لي: «ادفعي إلى أسفل».

عندما بدأ الطفل في القدوم، قفزت أمي الصغيرة من على الطاولة ورأته يخرج، صرخت: «ها هو قادمٌ، له شعر أسود». تساءلت عن اللون الذي تعتقد أنه قد يكون لديه.

عندما وُلد الطفل، أمسكته والدتي. قامت هي والممرضات الأخريات بتنظيفه، ولففنه في بطانية وأحضرنه إليّ. «هنا طفلك، ها هو طفلك الجميل».

قال والدي إنه عندما عادت إلى المنزل، كانت متعبة للغاية، بدت وكأنها قد أنجبت خمسة توائم.

كانت فخورة جداً بحفيدها وفخورة بي. لم أضطر البتَّة إلى قضاء دقيقة واحدة في شعورٍ بالندم على ولادة طفل كان لديه عائلة مخلصة وتقوده جده شجاعة، شجاعة ومجيدة. لذلك أصبحت فخورة بنفسِي.

## حادث، مدفة، أو طلة مستجابة

كان اسمه مارك، شابٌ طويل القامة وذو بنيةٍ جسديَّةٍ صلبةٍ. تأثر مارك بجو لويس<sup>2</sup>. فغادر مكانَ ولادته تكساس ليحظى بعملٍ في ديترويت، حيثُ كان ينوي جني ما يكفي من الأموال التي تمكِّنه من العثور على مدربٍ قادرٍ على تحقيق حلمه بأن يصبح ملاكاً محترفاً.

ولكن، حدّث أن بترت آلة في مصنع السيَّارات ثلاثة أصابع من يده اليمنى فتلاشى حلمه. عندما قابلته، أخبرني بقصته وشرح لي لماذا عُرف باسم «مارك ذو الإصبعين». لم يُظهر أي حقد حول أحلامه المؤجلة، وكنتُ ألتقيه وعلى وجهه ترتسمُ ابتسامته الودودة. كان عاشقاً مثالياً. عاشقاً بيد ناعمة، أشعرني بالطمأنينة والأمان وأنا برفقته.

بعد بضعة أشهر من حنَّوه، اصطحبني ذات ليلة من مكانٍ عملي وقال إنه سيصطحبني إلى خليج هالف مون.

أوقف سيارته على منحدر، ورأيت من خلال النوافذ ضوء القمر الفضيّ منعكساً على المياه المتدفقة.

نزلت من السيارة وعندما قال: «تعالى إلى هنا» ذهبت على الفور.

قال: «في حياتك رجل آخر، وأنت تكذبين عليّ». بدأتُ أضحك. كنت ما أزال أضحك عندما ضربني. قبل أن أسترجع أنفاسي، لكمني على وجهي بقبضتي يديه، ثم سقطتُ وأنا أنظرُ إلى النجوم التي كانت آخر ما رأيته ليلتها.

حين سقطتُ، نزع معظم ملابسى واتكأ عليّ. كان يحمل قطعة خشبٍ كبيرة في يده وهو يبكي.

«لقد عاملتك بشكلٍ جيّد، أمّا أنت فكنت مخادعة سفيهة، يا لك من امرأةٍ حقيرة». حاولت الاتجاه نحوه فخاننتي خطاي، ثم ضربت مؤخرة رأسي باللوح فأغمي عليّ. كنتُ كلِّما حاولت الوصول إليه، أرى بكاءه المتواصل. كان يضربني فصار يُغمى عليّ باستمرار.

الآن، أجد نفسي مجبرةً على تحمُّل الإشاعات التي تنتشرُ في الساعات القليلة القادمة. وضعني مارك في مقعد سيارته الخلفي وتوجّه إلى منطقة يسكنها الأمريكيون من أصل أفريقي في سان فرانسيسكو. أوقف سيارته أمام مطعم بيتي لو «تشيكن شاك» ودعا بعض

الأشخاص وقدمني إليهم.

«عليكم أن تتصرفوا بهذه الطريقة مع أي فتاة خائنة وكاذبة».

تعرفوا عليّ ثمّ عادوا أدراجهم إلى المطعم. أخبروا الأنسة بيتي لو أنّ مارك يحمل ابنة فيفيان في المقعد الخلفي للسيارة وإنّها تبدو ميّنة.

كانت الأنسة بيتي لو صديقة مقربة لأمّي ولهذا اتّصلت بها.

لم يكن أحدٌ يعلم أين يعيش أو أين يشتغل أو حتّى اسمه.

وبما أنّ أمّي كانت تمتلك صالات بيلياردو ونوادي مقامرة، وبما أنّ الأنسة بيتي لو تمتلك أرقام هواتف رجال الشرطة، توقّعتوا أن يعثروا عليّ سريعاً.

كانت والدتي قريبة من ضابط الكفالة الرائد في سان فرانسيسكو. لذلك اتصلت به. لم يكن لدى بويد بيشينيّلي أيّ ملفٍ يحمل اسم شخص اسمه مارك ولكنّه مع ذلك أخبر فيفيان أنّه سيواصل البحث.

نهضتُ في النهاية ووجدتُ نفسي مرميةً فوق سريرٍ والقرحة تملأ كاملَ جسدي. ألمتني أنفاسي وأنا أحاولُ الكلام. أخبرني مارك أنّ تلك القروح سببها ضلوعي المكسورة. وسرعانَ ما اكتشفتُ أنّ أسناني قد مزقت شفتي.

بدأ في الصّراخ، صرخ إنّه يحبّني. أخذ شفرة حلاقة مزدوجة ووضعها على رقبته.

«أنا لا أستحقّ العيش، عليّ أن أقتل نفسي».

لم أكن أمتلك القوّة كي أثنيه عن فعل ذلك، وسرعانَ ما وضع شفرة الحلاقة على عنقي. «لا يمكنني أن أترك هنا لبعض الزنجيين كي تكوني فريسة لهم». كان الكلام مستحيلاً وعمليّة التنفّس مؤلمة.

وفجأة، غير قراره.

«لم تأكلي الطّعام منذ ثلاثة أيّام. عليّ أن أحضّر لك بعض العصير. هل تحبّين عصير الأناناس أو عصير البرتقال؟ فقط أشيري لي برأسك».

لم أكن أعلم ما يجب عليّ فعله. ما الذي سيدفعه إلى المغادرة الآن؟

«أنا في طريقي إلى المتجر الواقع عند الزاوية كي أشتري بعض العصائر. آسف لأنني أذيتك. عندما أعود سأعالجك وستعودين بصحّة جيّدة. أعدك بذلك».

رأيتُهُ وهوَ يغادرُ.

هل اكتشفتُ حينها فقط أنني كنتُ في غرفتهِ، حيثُ زرتهُ مراراً. كنتُ أعرفُ أن صاحبةَ المنزل تعيش في نفس الطابق واعتقدتُ أنه إذا تمكنتُ من لفت انتباهها، فسوف تساعدني. استنشقتُ ما أمكنني من الهواء وحاولتُ أن أصرخ، لكنَّ جميعَ الأصواتِ دُفنتُ في داخلي. كان ألمُ محاولةِ الجلوسِ شديداً إلى درجةِ أنني حاولتُ الجلوسَ مرّةً واحدةً فقط. كنتُ أعرفُ أين وضعَ شفرةَ الحلاقة. إذا كان بإمكانني أخذها، فسأتمكنُ على الأقل من إيقافِ حياتي عندَ هذه النقطةِ وأحرمهُ من بحارِ الشّماتةِ لأنّه قتلني. بدأتُ في الصّلاة.

خشعتُ في صلاتي، وبينَ لحظاتِ الوعي واللّوعي سمعتُ صراخاً ينبعثُ من الأسفل. سمعتُ صوتَ أمِّي.

«حطّمه. حطّم ابن العاهرة تحتَ قدميك. ابنتي هناك». ارتفعَ صوتُ طقطقةِ الخشبِ، وسرعانَ ما ارتسمت فتحة، تسرّبتُ أمِّي من خلالها. نظرتُ إليّ ثمَّ أُغميَ عليها. أخبرتني لاحقاً، أنّها كانت المرّة الأولى التي يُغمى عليها.

كان منظر وجهي منتفخاً ضعف حجمه وكانت أسناني عالقة في شفتي. مرّت لحظاتٌ ثمَّ استطاعت الوقوف من جديد. تبعها ثلاثة رجال ببنية جسدية ضخمة إلى الغرفة. حملها اثنان منهم فترنّحت بين أذرعهم ثمَّ أحضروها إلى سريري.

«حببتي، حببتي، أنا آسفة، اتّصلوا بسيارة الإسعاف. سأقتلُ ذلك اللّقيط، أنا آسفة يا حببتي». كنتُ أجفُلُ في كلّ مرّةٍ تلمسني.

شعرت بالذنب مثل كل الأمهات اللواتي يلمن أنفسهن عندما تحدث أحداث مروعة لأطفالهن.

لم أستطع التّحدث أو حتى لمسها لكنني لم أحبها البتّة أكثر من تلك اللحظة في تلك الغرفة الخائقة النتنة.

مسّحت على وجهي وعلى ذراعيّ.

«حببتي، لقد استجابَ الرّبُّ لدعواتنا. لم يعرف أحدٌ كيفَ يجدُ مارك، حتى بويد بوسينيلي. لكن مارك ذهب إلى متجر صغيرٍ لشراء العصير وقام طفلان بسرقة شاشة بائع

تبغ». واصلت سرد قصتها.

«عندما انعطفت سيارة للشرطة، ألقى الأولاد الصغارُ علب السجائر في سيارة مارك. عندما حاول ركوب سيارته، اعتقلته الشرطة. لم يصدقوا صراخه بأنه بريء، فقاموا بنقله إلى السجن. استخدم مكالمته الهاتفية الوحيدة للاتصال بويد بوسينيلي. فردَّ بويد على الهاتف».

قال مارك: «اسمي مارك جونز، أعيش في شارع أوك. ليس معي نقود الآن، لكن مالكة المنزل تمتلك الكثير من أموالِي. إذا اتصلت بها فسوف تنزل وتحضر ما تريده».

سأل بويد: «ما اسم كُنيتك؟» قال مارك: «إنهم ينادونني بمارك ذو الإصبعين». أغلق بويد الهاتف واتَّصل بأمِّي، وأعطها عنوان مارك. سألتها إذا كانت ستتصل بالشرطة. قالت: «لا، أنا ذاهبة إلى صالة البلياردو التي أمتلكها وسأحضر بعض العمال العنيفين، وسأخلص ابنتي».

قالت صاحبة المنزل عندما وصلت إلى منزل مارك إنها لا تعرف أي شخص باسم مارك وإنها لا تعرف أي شخص غادر ولم يعد منذ أيام.

ربما حدث شيء مخالف، هكذا قالت أمِّي وهي تبحث عن ابنتها في منزل مارك، ابنتها التي كانت مرمية في غرفة تقع في منزل شخص اسمه مارك. استفسرت أمِّي عن غرفته فأخبرتها مالكة المنزل أنه اعتاد على ترك الباب مَقْفَلًا.

قالت أمِّي: «سوف أفتحه اليوم». دَعُرَت صاحبة المنزل وأخبرت والدتي بأنها ستتصل بالشرطة فأجابتها أمِّي: «يمكنك الاتصال بأحد الطهاة أو بأحد الخبازين، كذلك يمكنك الاتصال بأحد حفاري القبور».

عندما دَلَّت مالكة المنزل على غرفة مارك، أمرت أمِّي مساعدتها بأن يكسروا الباب: «حطموه، حطموه هذا اللعين».

في المشفى، فكَّرت في المُجرمين الصغارين اللذين سرقا كراتين السجائر وقاما برميها في سيارة شخص غريب. عندما تمَّ القبضُ عليه، اتَّصل ببويد كيشينيلي الذي اتَّصل بدوره بأمِّي التي جمعت ثلاثة من أكثر الرِّجلِ جسارةً في صالة البلياردو التي تمتلكها.

لقد كسروا باب الغرفة، حيثُ كنتُ مسجونةً وحيثُ تمَّ إنقاذُ حياتي. هل كانت تلك الحادثة عرضيةً أو صدفةً أو حدثًا عابرًا أو صلاةً مستجابةً؟

أعتقدُ أن الرِّبَّ استجاب لصلاتي.

ملاكم أمريكي.

## أن تخبِر الحقيقة

حذرتني والدتي، فيفيان باكستر، مراراً وأمرتني بألا أصدّق الحقيقة القائلة بأنّ الناس يسعون إلى الحقيقة حين يتوجّهون إليك بسؤال: «كيف حالك؟» قالت إن هذا السؤال يُطرحُ في جميع أنحاء العالم بآلاف اللُّغات ويعرف معظم الناس أنه مجرد بداية لمحادثة. لا أحد يتوقع حقاً أن تتمّ الإجابة عليه، ولا أحد يتوقّع أن يتلقّى إجابة من قبيل: «حسناً، أشعر أن ركبتنيّ مكسورتان، وظهري يؤلمني بشدّة إلى درجة أنني قد أسقط وأبكي». ردُّ من هذا القبيل سيكون بمثابة حاجزٍ لإكمال المُحادثة وبذلك سينتهي الحديثُ قبل أن يبدأ. لذلك، نقول جميعاً: «أنا بخير، شكراً لك، وأنت؟».

أنا أو من أُننا بهذه الطريقة نتعلم كيف نُصدِرُ الأكاذيب الاجتماعية ونتلقّاها. نحن ننظر إلى الأصدقاء الذين فقدوا مقداراً كبيراً من الوزن أو الذين ازدادَ وزنهم كثيراً، قائلين: «أنت تبدو بحالة جيّدة». يعلم الجميع أن ذلك الرأى كذبةٌ صارخةٌ، لكننا جميعاً نبتلع تلك الأكاذيب بطريقةٍ جزئيةٍ كي نحافظ على مقدارٍ من الطمأنينة، ببساطة لأننا لا نرغبُ في التّعامل مع الحقيقة. أتمنى أن نتمكن من إيقافِ الأكاذيب الصغيرة. لا أعني أنه يجب على المرء أن يكون صريحاً بطريقةٍ وحشية. لا أعتقد أننا يجب أن نكون قساةً، أقصدُ أنه من الجيّد أن نكون صادقين. لا يتعين على المرء أن يقول كل ما يعرفه، ولكن يجب أن نتوخّى الحذر تجاه ما نقوله وما نعتقدُ أنه حقيقة.

دعنا نقول بشجاعة لفتياتنا اليافعات: «قد تكون تصفيفة الشعر الخشنة هذه عصرية، لكنّها غير جذّابة. إنّها لا تضيفُ لك شيئاً». ودعنا نقول لأبنائنا الشّباب: «ذيل القميص المتدلي من تحت سترتك لا يجعلك تبدو رائعاً، إنه فقط يجعلك تبدو غير مهذب وغير مكترث». رأيت بعض شرطة أزياء هوليوود مؤخراً أن الظهور بملابس غير مرتّبة ووجوه نصف حليقة أمر مثير لأنه يجعل الرجال يبدو وكأنهم قد نهضوا للتو. كان مصممو الموضة على حقّ وعلى خطأً أيضاً. المظهر الأشعث يجعل الشخص يبدو وكأنه قد نهض للتو من السرير، لكنه أيضاً مخطئٌ لأن هذا المظهر ليس مثيراً، إنه مجرد مظهرٍ مبتذل.

إنَّ الحلقات التي توضعُ على الأنف أو الحلمة أو اللسان هي كلُّ ما يملكه الصَّغار لتجربته. ورغمَ أنَّها لا تعجبني، إلا أنهم لا يضايقونني كثيراً لأنني أعرف أن معظم الشباب سيكبرون وسيضمُّون إلى الحلقاتِ الاجتماعية التي يعملون فيها ويعيشون معها.

دعونا نقول الحقيقة للبشر. عندما يسألكِ البشر «كيف حالك»، عليكِ أن تكوني جريئةً أحياناً للإجابة بصدق. ومع ذلك، يجب أن تعلمي أن الناس سيبدوون في تجنُّبك لأنهم أيضاً يعانون من آلامِ الركبتين وآلامِ الرأس ولا يريدون التَّعرِّفَ على آلامكِ. لكن فكري في الأمر بهذه الطريقة، إذا كان الناس يتجنبونك، فسيكون لديك المزيد من الوقت للتأمل وإجراء بحثٍ مثمرٍ يمكنكِ من معالجة أيِّ شيءٍ يصيبك في الواقع.

## الابتذال

لقد حاول بعض الفنانين أن يصنعوا فناً من خلالِ توظيفِ منسوبهم من الوقاحة، لكن ذلكَ الابتذال الذي يحملونه لم يكشف إلا عن مقدارٍ رهيبٍ من الدونية يسكنُ في ذواتهم. عندما يلوّثون أنفسهم، إنّما هم بذلك يزرعون البذاءة على ألسنتهم، يعبرون عن حالة الازدراء التي يعيشونها، رغم أن الواقع فعلاً، لا يحملُ تجاههم أيّ مقدارٍ من المحبة. أمّا نحنُ فننغمسُ في بذائاتهم، كجمهورٍ يقفُ في مسرح الكولوسيوم، تغمرهُ السعادةُ برؤية الأسود الهائجة تفتكُ بالمسيحيين العزل. نحن لا نشارك فقط في إذلال الفنانين، ولكننا نسقطُ فريسةً للإحباطِ حين نكون طرفاً في المهزلة.

نحن في حاجة إلى التحلي بالشجاعة لنقول إن السمنة ليست مضحكة وأن الابتذال ليس مسلياً. الأطفال الوقحون والآباء الخاضعون ليسوا الشخصيات التي نريد الإعجاب بها ومحاکاتها. الوقاحة والسخرية ليستا من الصفات التي نحتاج إلى تضمينها في محادثاتنا اليومية.

إذا كان الإمبراطور يقف في غرفة معيشتي وهو مجردٌ من ملابسه، فلا شيء يمنعني من القول إنه نظراً لأنه لا يرتدي ملابس، فهو غير مؤهلٍ ليكون عضواً في الكونغرس. مهما كان الثمن، لا تستلقِ على أريكتي وتتغذَّ على وجبتي الخفيفة.

## العنف

عندما يخطئ مدرسونا وأساتذتنا المثقفون في الحكم على أبحاثهم ويخطئون في الكلام عن النتائج التي توصلوا إليها، قد يكون من الجيد الابتعاد بهدوء وتوديعهم، وترك مؤسستهم واتباع مقولة شكسبير في مسرحيته يوليوس قيصر: «انظر إلى الظلام في هدوء».

في بعض المواضيع، أستطيع أن أمسك لساني وبي أمل أن تُصحح عجلات الزمن ما اقترفته من أخطاء. لكن هناك مسألة واحدة تستدعي انتباه الخصوم. أعلن عدد كبير جداً من علماء الاجتماع والأخصائيين الاجتماعيين أن فعل الاغتصاب ليس فعلاً جنسياً على الإطلاق، بل هو حاجة، وضرورة للشعور بالقوة. ويوضحون كذلك أن المغتصب هو في أغلب الأحيان ضحية شخص آخر كان يبحث عن السلطة، شخص كان هو نفسه ضحية، وما إلى ذلك من التصورات التي تثير الغثيان. ربما تكون نسبة صغيرة من الدوافع التي تدفع المغتصب إلى هيجانه الوحشي نابعة من الجوع إلى السيطرة، لكنني متأكدة من أن حافز المنتهك جنسي (بشكل مدمر).

أصوات الاغتصاب الذي يتم مع سبق الإصرار والترصد، والهمهمات والغرغرة، والخرق والبصق، التي تبدأ عندما يرصد المغتصب ضحيته ثم يستهدفها، هي أصوات جنسية. تصبح المطاردة، في ذهن المغتصب، مغازلة خاصة، حيث تكون المغازلة غير مدركة لدى الشخص الهدف، ولكن المغتصب مهووس بتحقيق رغبته. إنه يتابع، ويلاحظ، وهو بطل الرواية المتحمس في المسرحية الجنسية.

إن فعل الاغتصاب المحمول على الاندفاع لا يملك أي عذر. فالمنتهك الذي ينقض على ضحيته المعزولة يثير غضباً جنسياً على حين غرة. إنه يواجه نفس الاندفاع المبتذل تماماً كالشخص المتعري، الفرق الوحيد أن سعادته لا تكفي بصدمة قصيرة الأمد، بل تملكه طفرة وحركات في أعماقه تجتاح روحه وتصيبه برعب أكبر.

أشعر بالقلق من المثقفين، الذين يرغبون في تشكيل تفكيرنا، وبالتالي قوانيننا، فهم كثيراً ما يجعلون الاغتصاب حدثاً اجتماعياً مقبولاً ويمكن تفسيره. إذا كان الاغتصاب يتعلق فقط بامتلاك السلطة، والبحث عنها وممارستها، فعلينا ببساطة أن نفهم وحتى نسامح الفعل

البشري الطبيعي للجنس مهما كانت حدته. أعتقد أن الألفاظ النابية الموجهة إلى ضحية الاغتصاب أو التصريحات الرهيبة عن الحب الأبدي المتساقطة في أذني الضحية المدعورة، ليست لها علاقة بالسلطة بقدر ما لها علاقة بالممارسة الجنسية الشاذة.

يجب أن نسمي فعل الاغتصاب المدمر، فعل العنف الدموي الذي يوقف القلب، والذي يخطف الأنفاس، ويسحق العظام، بمسمياته. هذا التهديد يجعل بعض الضحايا من الإناث والذكور غير قادرين على فتح أبوابهم الأمامية، وغير قادرين على الخروج إلى الشوارع التي نشأوا فيها، وغير قادرين على الوثوق في البشر الآخرين وحتى في أنفسهم. دعونا نسميها فعلاً جنسياً عنيفاً لا يمكن إصلاحه.

أتذكر ردة فعل أحد أصدقائي، عندما أخبره رجل مفتول العضلات أن التنانير القصيرة كانت تدفعه إلى التفكير في الاغتصاب.

سألني صديقي، إذا كانت المرأة ترتدي ميني مايكرو ولا ترتدي ملابس داخلية، فهل يمكن للمغتصب أن يتحكم في نفسه؟ وأضاف: «ما ذا لو كان إخوتها الكبار واقفين ممسكين بمضارب بيسبول؟».

إنني قلقة من أن يجعلنا القبول بنظرية القوة نُقلل من شأن السلوكيات القبيحة ومن آثارها، ويقلل من حدة الانتهاكات القاسية.

## نظرة أمب العميقة

الاستقلالية إكسبير مسكر، فإذا تشربته في شبابك يمكن أن يكون له نفس التأثير الذي يمارسه النبيذ الطازج على الدماغ. لا يهم إذا كان مذاقه ليس جذاباً للغاية، فهو يسبب الإدمان ومع كل مشروب يريد المستهلك المزيد.

عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري وأعيش في سان فرانسيسكو، كان لدي ابن يبلغ من العمر خمس سنوات، ووظيفتان، وغرفتان مستأجرتان مع مكان معد للمطبخ في أسفل القاعة. كانت صاحبة المنزل، السيدة جيفرسون، لطيفة وفي مقام الجدة. كانت مربية أطفال حينها ورغم ذلك أصرت على تقديم العشاء للمستأجرين. كانت طريقتها في التعامل رقيقة جداً وشخصيتها لطيفة للغاية إلى درجة أن لا أحد كان لثيماً بما يكفي لتثبيط مآثرها الكارثية في الطهي. كانت السباغيتي على طاولتها، والتي كانت تقدم ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع، عبارة عن مزيج غامض يتراوح بين اللون الأحمر والأبيض والبني. كنا نواجه أحياناً قطعة لحم غير محددة الهوية مخبأة بين المعكرونة.

لم يكن لدي أموال لأشتري الطعام من المطعم، لذلك كنت أنا وابني جاي في كثير من الأحيان صادقين مع أنفسنا حتى وإن لم نكن سعداء، في مطعم جيفرسون.

انتقلت والدي من بوست ستريت إلى منزل فيكتوري مكون من 14 غرفة في شارع فولتون، ملأته بأثاث قوطي منحوت بشدة. كان التنجيد على الأريكة والكراسي العرضية بلون النبيذ الأحمر. تم وضع السجاد الشرقي في جميع أنحاء المنزل. كان لديها موظف مقيم يقوم بتنظيف المنزل وفي بعض الأحيان يعمل مساعداً للطاهي.

التقطت الأم جاي مرتين في الأسبوع وأخذته إلى منزلها حيث أطعمته خوفاً وكرامة وهوت دوج، لكنني لم أذهب إلى منزلها إلا في الوقت المحدد لدينا.

لقد فهمت وشجعت الاعتماد على النفس. كان لدينا موعد دائم، والذي كنت أتطلع إليه بشغف. كانت تطهو مرة في كل شهر أحد الأطباق المفضلة لدي، وكنت أذهب إلى منزلها. موعد غداء واحد يبرز في ذهني. أطلق عليه يوم الأرز الأحمر في فيفيان.

عندما وصلت إلى منزل شارع فولتون، كانت والدتي ترتدي ملابس جميلة، وكان مكياجها مثالياً، وكانت ترتدي مجوهرات جيدة.

بعد أن تعانقنا، غسلت يدي وسرنا عبر غرفة طعامها المظلمة إلى المطبخ المشرق الكبير. كان ثمة الكثير من الطعام على الطاولة. كانت فيفيان باكستر جادة للغاية بشأن وجباتها اللذيذة.

في يوم الأرز الأحمر الذي مضى عليه وقت طويل، كانت والدتي قد وضعت على المائدة كابوناً مقرمشاً ومحمصاً جافاً، بدون تتبيلة أو مرق اللحم، وسلطة خس بسيطة، بدون طماطم أو خيار. جلس بجانب صحنها وعاء واسع مغطى بطبق.

باركت الطعام بحرارة فتلت دعاءً قصيراً ووضعت يدها اليسرى على الطبق ويدها اليمنى على الوعاء. قلبت الأطباق وخففت برفق الإناء من محتوياته وكشفت عن كومة طويلة من الأرز الأحمر اللامع (طعامي المفضل في كل العالم) مزيناً بالبقدونس المفروم الناعم وسيقان البصل الأخضر.

لا يظهر طبق الدجاج والسلطة في ذاكرتي، ولكن ما زالت وستظل كل حبة رزٍ أحمر تلمع على طرف لساني إلى الأبد.

تصف كلمتي الشره والطمع بسلبية الإنسان الشره الذي لا يمكنه مقاومة الطعام الذي يمارسه طبقه المفضل.

وجبتين من الأرز كافيتان لإشباع شهيتي، لكن طعام الطبق اللذيذ يجعلني أتوق إلى ملء بطني بأكل وجبتين إضافيتين.

كانت والدتي تحمل خطة لما ستفعله في فترة ما بعد الظهر، لذا جمعت لفائفها وغادرنا المنزل معاً.

وصلنا إلى منتصف المجمع السكني فوجدنا نفسينا محاطتين برائحة الخل الحمضية اللاذعة، المنبعثة من مصنع المخلات الذي يقع في زاوية شارع فيلمور وفولتون. تقدمت قليلاً فأوقفتني والدتي وقالت: «حبيبتى».

مشيت عائدةً إليها.

«حبييتي، كنتُ أفكّرُ في شيءٍ ما والآنَ تيقّنتُ ممّا كنتُ أفكّرُ فيه. أنتِ أعظمُ امرأةٍ التقيتُ بها».

نظرتُ إلى المرأة الصغيرة الجميلة، وتأمّلتُ مساحيقها الجميلة وأقراطها الماس، المرأة التي امتلكتُ فندقاً ونال إعجاب معظم الناس في مجتمع السود في سان فرانسيسكو. تابعت كلامها: «أنتِ لطيفةٌ للغاية وذكيةٌ جداً ونادراً ما تجتمعُ هاتين الصّفتين معاً. السيدة إليانور روزفلت، والدكتورة ماري ماكليود بيثون، وأمي - نعم، أنتن تنتمين إلى هذه الفئة. تعالي، أعطني قبلة هنا».

قبّلتني على شفتي واستدارت ومشت عبر الشارع إلى سيّارتها البونتيك ذات اللّونين البيج والبنّي. حملتُ نفسي وسرتُ إلى شارع فيلمور. عبرت هناك وانتظرت الترام رقم 22.

لن تسمح لي سياسة الاستقلال الخاصة بي بقبول المال أو حتى اقتراضه من والدتي، لكنني فتحتُ ذراعياً لأنال حكمتها. والآن، أجدُ نفسي أفكّرُ في ما قالت لي. فكرتُ بيني وبين نفسي: «لنفترض أنّها على حقّ. إنّها ذكيةٌ جداً وكثيرا ما قالت إنّها لا تخشى أيّ شخص كي تكذب. لنفترض أنني سأصبح شخصاً ما حقاً».

لحظتها، وأنا ما زلتُ أتذوّقُ الأرز الأحمر على طرف لساني، رأيتُ أنّ الوقت قد حان للتخلّي عن العادات الخطيرة مثل التدخين والشرب والكلام البذيء.

تخيّلوا، سأصبحُ إنسانةً ذات يومٍ وسيأتي ذلك اليوم.

## المغرب

على الرغم من أنني كنت أعيش في القرن العشرين، إلا أنني ما زلت متمسكةً بفكرة القرن التاسع عشر الخيالية عن الممالك العربية. كان هناك خلفاء ومخصيون وحريم قويّات، حيث ترقد نساء جميلات على أرائك وهنّ ينظرنَ إلى أنفسهن في مرايا مذهبة.

في صباح اليوم الأول في المغرب، ذهبت سيراً على الأقدام لأستمع ببعض المشاعر الرومانسية التي تتلاءم وخيالاتي.

ارتدت بعض النساء في الشارع ملابس غريبة بينما كانت أخريات يبقين أنفسهن عفيفات وراء الحجاب الأسود الثقيل. بدا كل الرجال مرحين وجميلين وهم يضعون طرابيشتهم الحمراء. اقتربت من ساحة خردة وقررت عبور الشارع قبل أن أجد نفسي مجبرةً على النظر إلى الحياة الحقيقية. صرخ أحدهم فاستدرت. كانت هناك ثلاث خيام في الفناء وكان بعض الرجال السود يلوحون لي. لأول مرة، أدركت أن المغاربة الذين التقيت بهم سابقاً وتوقعت أن ألتقي بهم يشبهون الإسبان أو المكسيكيين وليس الأفارقة.

راح الرجال يصرخون ويومنون إليّ. رأيت أنهم جميعاً كانوا كباراً في السن. أملت عليّ تجربتي في الحياة، أن أمضي إليهم. في تلك اللحظة أدركت أنني كنت أرتدي تنورة قصيرة وحذاء بكعب عال، وهو مناسب لامرأة أمريكية تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، وهو أمر غير مقبول تماماً لأنني بصحبة رجال أفارقة كبار السن.

شقتُ طريقي فوق العلب والزجاجات المكسورة والأثاث المهمل. عندما وصلت إلى الرجال جلسوا فجأة. لم يكن هناك براز تحتها، لذا لم يجلسوا حقاً، لقد جلسوا على مؤخراتهم. لقد نشأت من قبل جدة جنوبية علمتني أنه من الوقاحة أن يقف الشاب أو حتى يجلس في مكان شخص أكبر منه سناً.

عندما انحنى الرجال، انحنيتُ فبدوتُ كما لو أنني راقصة صغيرة. كان جسدي يتبع أوامري.

ابتسموا لي وتحدثوا إليّ بلغة لا أفهمها. أجت باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية التي لم يفهموها. ابتسمنا لبعضنا البعض وتحدث رجل بصوت عالٍ لمجموعة من النساء

اللواتي كن يقفن في الجوار، وينظرن إليّ باهتمام.  
ابتسمتُ للنساء اللواتي أعدنَ ابتسامتي. كان الانحناء لفترة طويلة متعباً مهما كانت  
عضلاتك.

وأنا أستعدُّ للوقوف والانحناء، ظهرت امرأة ومعها فنجان قهوة صغير في يدها وقدمتهُ إليّ.  
عندما استلمته، لاحظت شيئين، حشرات تزحف على الأرض، ورجالاً يشجعونني بفرقة  
أصابعهم. انحنيت وأخذت رشفة من القهوة وكِدْتُ أن أفقد الوعي. كان لديّ صرصور على  
لساني. نظرتُ إلى وجوه الناس ولم أستطع أن أبصق القهوة من فمي. لو حدث الأمر مع جدتي  
لنفذت التراب الجاثم على قبرها وضمت بكل إرادتها كي تظهر لي خيبة أملها الشديدة مني.  
لم أستطع تحمّل ذلك، ففتحتُ فمي ونظرتُ إلى الكأس فأحصيت أربعة صراصير.

وقفتُ ثم انحنيتُ للجميع وخرجت من الفناء. دفنتُ شعوري بالاشمئزاز في داخلي ثم  
غادرتُ، وفور وصولي إلى الجدار الأول، تقيأتُ ما في داخلي. لم أسرد القصة على أحدٍ  
وظللتُ مريضةً طيلة شهرٍ كاملٍ.

عندما ذهبنا إلى مرسلينا، سكنتُ في فندقٍ رخيص. ذات صباح أخذتُ مجلة ريدرز  
دايجست القديمة وطالعتُ مقالاً بعنوان «القبائل الأفريقية التي ترحلُ من منطقة الساحل إلى  
شمال إفريقيا».

علمت أن العديد من القبائل التي تتبع الطرائق القديمة من مالي وتشاد والنيجر ونيجيريا  
ودول إفريقية سوداء أخرى، تعبر الصحراء في طريقها إلى مكة أو الجزائر أو المغرب  
والسودان، تحمل القليل من المال ولكنها تعيش بنظام المقايضة. إنهم يستبدلون البضائع  
بالسلع، لكنهم سينفقون أموالهم الشحيحة لشراء الزبيب. من أجل تكريم الزائرين وإظهار  
الاحترام لهم، سيضعون من ثلاث إلى خمس حبات زبيب في فنجان صغير من القهوة.  
لبضع دقائق شعرت أنني أريد أن أنحني أسفل الرجال المسنين في المغرب وأطلب العفو  
منهم.

هناك، اختاروا تكريمي بذلك الزبيب الغالي.  
شكرت الله أن جدتي كانت ستكون مسرورةً بسلوكي.

لقد بدأت هذا الدرس الحياتي المتواصل. إذا أكل البشر شيئاً، وإذا لم أشعر بالصدمة الشديدة من تربيته الخاصة إلى درجة أنني لا أستطيع التحدث، وإذا كانت نظرتي نقيّة وفي حدود المعقول، وإذا لم يكن لدي حساسية من العطاء، فسوف أجلس على الطاولة سأشارك في المأدبة بكلّ ما أوتيتُ من حماسٍ.

ملاحظة. أسمي هذا درساً حياتياً مستمراً لأنني لم أتعلمه دائماً وغالباً ما أكون على المحكّ وعلى الرغم من أنني لست أكثر أو أقل حساسية من الشخص التالي، فقد حصلت أحياناً على درجة «F» ثابتة في الاختبار، وفشلاً ذريعاً. لكنني أحصل على درجة النجاح في كثير من الأحيان. عليّ فقط أن أتذكر جدتي وحبّات الزبيب التي أصابتنني بمرض شديد لمدة شهر.

## بورجبي ويبس

كانت أوبرا بورجي وبس، التي غناها كلُّ من جورج وإيرا غيرشوين، ما تزال تجذب الجماهير في جولاتها الأوروبية. كان طاقم العمل المزدهي بالألوان ما يزال في أوجهٍ ويفتحُ أياديه مرحبًا بي ولكني كنت حريصةً على مغادرة الدَّورة الفنيَّة والعودة إلى سان فرانسيسكو، كاليفورنيا.

شعرت بالذنب لأنني عندما انضممت إلى فريق التمثيل تركت ابني جاي البالغ من العمر ثماني سنوات مع والدتي وخالتي في سان فرانسيسكو.

عرضت عليّ شركة الأوبرا زيادة كبيرة في الراتب إذا كنت سأسافرُ معه، لكن كان هناك بالفعل طفلان برفقة والديهما، أظهرتا سلوكًا لم أرغب في أن يراه ابني أو يقلده. كنت الراقصة الرئيسيَّة وغنيت دور «روبي». تلقيت راتبًا لائقًا فقمْتُ بتحويله إلى المنزل لكن ذنبي رسَّخَ في داخلي فكرةً أن أموالِي لم تكن كافية، لذلك ظللتُ أعملُ في معاشات التقاعد أو بيوت الشباب، أو مع العائلات لتوفير المال. بعد أن أسدل الستار في المسرح، ضاعفت غناء البلوز في النوادي الليلية وفي النهار كنت أقدمُ دروسًا في الرقص أينما وجدت الطلاب وقمتُ بإرسالِ هذه الأموال أيضًا إلى والدتي.

ومع ذلك، بدأت أفقد شهيتي ووزني واهتمامي بكلِّ شيء. كنت أرغب في العودة إلى المنزل من أجل ابني. قيل لي إنني مجبرةٌ على دفع أجرة السفر البديلة إلى أوروبا، وتذكرة أخرى إلى الوطن. لقد واجهت هذا الضغط الجديد من خلال الغناء في اثنين من الملاهي الليلية الأخرى وتعليم الرقص للراقصين المحترفين والأطفال الذين بالكاد يستطيعون المشي.

أخيرًا حصلتُ على المال، وفي النهاية ركبت سفينة في نابولي بإيطاليا متوجهة إلى نيويورك. رفضت الطيران لأنه خطر لي إذا تحطمت الطائرة، لن يجد أمِّي إلا الرثاء لتعزية نفسها. «ماتت والدتي عندما كنت في الثامنة من عمري. لقد كانت فنانة». اضطرت إلى العودة إلى سان فرانسيسكو وإخباره بأنني كنت فنانةً وأكثر من ذلك.

بعد تسعة أيامٍ قضيتها على متن السفينة، وصلت إلى نيويورك واستقلت قطارًا لمدة ثلاثة أيام وليالٍ إلى سان فرانسيسكو. كان لمُ شملنا عاطفيًا للغاية إلى درجة أنني أعترف أنه ربما

أرسلني إلى الحافة. أعلم أنني أحببت ابني وعرفت أنني محظوظة لأنني لم أكن أحبه، وأنني لن أخنقه بمحاولة أن أكون قريبة جداً وفي نفس الوقت سأغمره بالحب وأرييه ليكون حراً ومغموراً بصفات الرجولة وسعيداً قدر الإمكان.

بعد أسبوع واحد من العيش في الطابق العلوي من منزل والدتي الكبير، الواقع على قمة تل، أصبحت قلقة مرة أخرى. أدركت أنه سيكون من الصعب إن لم يكن من المستحيل تربية فتى أسود ليكون سعيداً ومسؤولاً ومتحرراً في مجتمع عنصري. كنت مستلقية على الأريكة في غرفة المعيشة بالطابق العلوي عندما سار جاي عبرها. «مرحباً أمي». نظرت إليه وظننت أنه يمكنني حمله وفتح النافذة والقفز. رفعت صوتي وقلت: «اخرج. اخرج الآن. اخرج من المنزل في هذه الدقيقة. اخرج إلى الباحة الأمامية ولا تعد، حتى لو اتصلت بك».

اتصلت هاتفياً بسيارة أجرة، وسرت على الدرج ونظرت إلى جاي. قلت: «الآن يمكنك الدخول والبقاء في المنزل حتى أعود». أخبرت سائق سيارة الأجرة أن يأخذني إلى عيادة لانجلي بورتير للطب النفسي. عندما دخلت إلى مكتب الاستقبال، سألتني عما إذا كان لدي موعد. قلت «لا». أجابني بوجه حزين: «لا يمكننا قبولك إلا إذا كان لديك موعد». قلت: «يجب أن أرى شخصاً ما، أنا على وشك إيذاء نفسي وربما أؤذي شخصاً آخر».

تحدثت موظفة الاستقبال بسرعة عبر الهاتف. قالت لي: «من فضلك اذهبي لرؤية دكتور سالسي، أسفل القاعة على اليمين، الغرفة ج». فتحت باب الغرفة «ج» وسقطت آمالي. كان هناك شاب أبيض خلف مكتب. كان يرتدي بذلة Brooks Brothers وقميصاً مزربراً، وكان وجهه واثقاً وهادئاً. رحّب بي وأجلسني على كرسي أمام مكتبه. جلست ونظرت إليه مرة أخرى وبدأت في البكاء. كيف يمكن لهذا الشاب الأبيض المتميز أن يفهم قلب امرأة سوداء كانت مريضة بتأنيب الذات لأنها تركت ابنها الأسود الصغير ليقوم الآخرون بتربيته؟ في كل مرة نظرت إليه كانت الدموع تغرق وجهي. في كل مرة كان يسألني ما الأمر كيف لي أن أساعدك؟ لقد أصبت بالعجز بسبب وضعي. أخيراً تمكنت من استجماع قواي بما يكفي لأقف وأشكره وأغادر. شكرت موظفة الاستقبال وطلبت منها الاتصال بشركة ليكسور كاب لتأجير سيارات التاكسي.

ذهبت إلى مدرس الصوت الخاص بي، ومرشدي والشخص الوحيد الذي يمكنني التحدث إليه بحرية. عندما صعدت الدرج إلى أستوديو فريديريك ويلكرسون، سمعت طالباً يقوم

بتمارين صوتية. أخبرني ويلكي، كما تم استدعاؤه، أن أذهب إلى غرفة النوم. «سأقدم لك شراباً». ترك تلميذه، وأحضر كوباً من الويسكي، وشربته على الرغم من أنني لم أكن في ذلك الوقت أتعاطى الكحول. جعلني ذلك الكأس أغرق في النوم. عندما استيقظت ولم أسمع أي أصوات من الأستوديو دخلت.

سألني ويلكي: «ما الخطب؟».

قلت له إنني أصاب بالجنون. قال «لا» ثم سألني: «ما الخطب رجاء؟». كنت منزعجةً لأنه لم يسمعني أقول: «فكرتُ في قتل نفسي اليوم وقتل جاي، أقول لك إنني سأجن».

قال ويلكي: «اجلسي هنا على هذه الطاولة، ها هي وسادة صفراء وهنا قلم حبر جاف. أريدك أن تكتبي بعض النعم التي لديك».

قلت: «ويلكي، لا أريد التحدث عن مثل هذه الأشياء، أقول لك إنني سأجن».

قال: «اكتبي أولاً ما قلته. اكتبي وفكري في ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم الذين لا يستطيعون سماع جوقة أو سيمفونية أو بكاء أطفالهم. اكتبي، أستطيع السماع، أشكر الرب على هذه الهبة. ثم اكتبي أنه يمكنك رؤية هذه اللوحة الصفراء، وفكري في ملايين الأشخاص حول العالم الذين لا يستطيعون رؤية شلال أو أزهار تتفتح أو وجه عشيقهم. اكتبي أستطيع أن أرى، شكرًا للرب. ثم اكتبي ما يمكنك قراءته. فكري في ملايين الأشخاص حول العالم الذين لا يستطيعون قراءة أخبار اليوم، أو قراءة رسالة من العائلة، أو لافتة توقف في شارع مزدحم، أو...».

لقد اتبعت أوامر ويلكي وعندما وصلت إلى السطر الأخير في الصفحة الأولى من الورقة الصفراء، تحركت ملكة الجنون لدي.

وقع هذا الحادث منذ أكثر من خمسين عاماً. لقد كتبت حوالي خمسة وعشرين كتاباً، وربما خمسين مقالاً وقصائد ومسرحيات وخطباً باستخدام أقلام الحبر والكتابة على أوراق صفراء.

عندما أقرر كتابة أي شيء، أقع في فخ انعدام الأمن على الرغم من الإشادات السابقة. أعتقد، آه، آه، الآن سيعرفون أنني ساحرة ولا أستطيع الكتابة والكتابة بشكل جيد. كنت على وشك التراجع، لكنني أخرجت لوحة صفراء جديدة وكنت كلما تقدمت إلى صفحة أخرى، أفكر في مدى سعادتي.

قد تكون سفينة حياتي تبخر أو لا تبخر في بحار هادئة وودية. الأيام الصعبة في حياتي قد تكون أو لا تكون مشرقة وواعدة. أيام عاصفة أو مشمسة، ليالٍ مجيدة أو وحيدة، ولكن رغم ذلك، كنتُ أحافظُ على حسِّ الامتنانِ لديّ. إذا أصررت على البقاء متشائمةً، سيكونُ ثمّة غدٌ رغم كلِّ شيءٍ.  
أنا محظوظة اليوم.

## بوب وديكا

كان بوب تريهافت وديكا ميتفورد من بين الأزواج الأكثر جاذبية ممن عرفتهم على الإطلاق. لقد كان محامياً راديكالياً، ذو عزيمة كالفولاذ، وكانت عظامه هشة للغاية إلى درجة أنه ذات مرة، بعد أن نجح في الدفاع عن حركة الفهود السود<sup>3</sup>، عانقه هيو نيوتن بامتنانٍ وكسرَ ثلاثة من ضلوعه.

كانت ديكا كاتبة يكشف كتابها Hons and Rebels عن قصة نشأتها كأرستقراطية إنجليزية أصبحت فيما بعد شيوعية.

كتابها التالي، الطريقة الأمريكية للموت، تحدى وغير العمل الجنائزي في أمريكا. قبلت دعوة للتحدث في جامعة ستانفورد. وبما أنني كنت سأزور ديكا وبوب، قررت قضاء نهاية الأسبوع في هذه الرحلة.

في الليلة الأولى التي قضيناها معاً، قال بوب إن مطعمًا محليًا يقدم مرةً في الشهر أطباقًا فرنسيةً. قال إن الطعام كان رائعًا ويحظى بشعبيةٍ إلى درجة أن الناس كانوا يحجزون قبل الموعد بشهرين أو ثلاثة.

طلبت ديكا من بوب الاتصال وإخبار المالك بروس مارشال أنه كان لديهم كاتبة صديقة مقربةً أتتهم من نيويورك. عاد بوب بابتسامة وكان لدينا الحجز.

عندما جلسنا على طاولة كبيرة نتناول وجبة العشاء، أتانا مالكُ المطعم. قال لي: «كانت زوجتي متحمسة للغاية حين علمت أنك في البلدة. أنت وزوجتي صديقتان حميمتان».

شكرته وسألت أولاً كيف عرف أنني في البلدة؟ قال إن بوب تريهافت قد أخبره، إلى درجة أنه وصفني له.

ثم سألت من زوجته. قال بروس إن زوجته هي مارلين مارشال. ركضت إلى ذهني وتفحصت قائمة الأسماء التي أحفظها. لم أكن أعرف مارلين مارشال.

لقد لاحظَ المأزقَ الذي وجدتُ نفسي فيه فضحك على نفسه: «لا، بالطبع، كانَ اسمها غرين عندما كنتما تعرفان بعضكما البعض في لوس أنجلوس». كنت أعرف عائلة في لوس أنجلوس تحمل الاسم الأخير «غلاين»، لكن لم تكن مارلين فرداً منها. ضحك مرة أخرى وأحضر محفظة من جيبه. فتحها وسلم المحفظة لي: «هذه صورة مارلين. قد تتغير الأسماء والأماكن ولكن ما لم يخضع المرء لجراحة تجميلية شديدة، تظل الملامح كما هي». نظرتُ إلى الصورة بسرعة. لم أر وجه تلك المرأة من قبل.

ابتسمت وقلت: «هذه بالتأكيد مارلين مارشال. إنها تبدو رائعة».

نظرَ بروس إلى طاولتنا بابتسامة العريس الفخور.

أثناء مغادرتنا، أمسك بنا بروس عند الباب الأمامي قائلاً: «مارلين على الهاتف وهي تريد التحدث إليك».

حملت سماعة الأذن بإحكام ووضعتها على أذني، على أمل أن أتعرّف عليها من صوتها.

قلت: «مرحباً»، وشعرت بخيبة أملٍ بالفعل. لم أتعرّف على الصوت.

تساءلت: «ماذا تفعلين في كاليفورنيا؟ لماذا لم تخبريني أنك قادمة؟ إذا لم تغادري إلى الآن، فيمكنني القدومُ إلى المطعم الآن».

قلت على عجل: «لا، لقد أكملنا لقاءنا الآن. هل يمكننا أن نلتقي غداً؟ تعالي حوالي الساعة الواحدة لتناول طعام الغداء في منزل ديكاً وبوب. سأقوم بتحضير فطيرة الكيش».

أجابتنى: «حسناً، سأكون في الموعد هناك».

عندما أخبرت ديكاً أنني أودُّ رؤيتها، قالت: «لا أرى مانعاً».

سألت ديكاً: «ما الذي سأحدث عنه؟».

قالت ديكاً: «لديك فطيرة الكيش، تحدثني عن ذلك».

وضعت فطيرة لورين في الفرن وحاولت تخيّل ما سيحدثُ خلال الساعتين التاليتين.

في الساعة الواحدة بالضبط رنَّ جرس الباب، وفتحت الباب أمام امرأة لم أرها من قبل في حياتي. كانت صغيرة وجميلة وكانت المفاجأة مخيِّمةً على وجهها: «أهلاً كيف حالك؟».

قلت: «أنا بخير، وماذا عنك؟ ادخلي».

دخلت إلى المنزل.

أخبرتها أنّ فطيرة الكيش جاهزة. جلسنا معاً ونحنُ مدركتين أنّنا لا نحملُ كلانا أيّ فكرةٍ عن الآخر، ولا نعرفُ كيف نُخرج أنفسنا من هذا الموقف المحرج. بعد الغداء أجرينا محادثة طويلة حول كيفية تحضير فطيرة الكيش. أخذنا النبيذ إلى غرفة الجلوس.

قالت مارلين: «خمني في الشخص الذي رأيتَه في تاهو؟». قلت لا أستطيع التخمين.

قالت: «تشارلز تشستنت. لقد تصرف كما لو أنه لم يتعرف عليّ». لقد توقعت مني أيضاً أن أتعرّف على الاسم. لم أكن شجاعة مثلها. لم أقل شيئاً. تابعت مارلين: «لقد تحدّثتُ إليه وظل ينظر إليّ في حيرة، يا له من لقيطٍ، لقد عملتُ أنا وأنتِ بجدٍ في حملته». مرّةً أخرى، لم يكن لديّ أي رد. قالت مارلين: «لقد تقدّمتُ إليه وقلتُ، أنت تتظاهر بأنك لا تعرفني الآن، انتظر حتى أرى لويز ميريويدر».

«مارلين، أنا مُكرهَةٌ على إخبارك بهذه الحقيقة، عليك أن تعلمي أنني لستُ لويز ميريويدر».

صرختُ: «لم أكن أعتقد أنك كذلك! لم أتعرف على صوتك الليلة الماضية على الهاتف». كانت تقف في منتصف الغرفة. «وعندما فتحت الباب، قلتُ في داخلي، إنّ هذه المرأة ليست لويز إلّا إذا كانت قد فعلت شيئاً غيرَ من ملامحها كلياً». سألتها: «لماذا تعتقدين أنني لويز؟».

قالت مارلين: «أخبرني بروس أنّ بوب تريهافت أخبره أنّك لويز وكُنْتِ في زيارة من نيويورك وهو يعرف مدى اهتمامي بك، أعني اهتمامي بلويز».

سألتها: «من فضلك قولي لي من أنتِ؟».

قلت: «مايا أنجلو».

قالت مارلين: «أوه، تَبّاً، اسمعي، سأغادر، أنا آسفة».

قلت: «لا، من فضلك، هذه مجردُ طريقة جديدة لكسب الصديق. دعونا نتعرف على ما حدث».

قالت: «بوب اتصل بروس، على أمل الحصول على حجز. قال إن لديهم صديقة تُقيم معهما، وهي كاتبةٌ أمريكيةٌ من أصل أفريقي من نيويورك.»

سأل بروس: «هل هي طويلة القامة؟».

أجاب بوب: «طولها ستة أقدام.»

لويز ميريويندر يبلغ طولها ستة أقدام وهي سوداء وكاتبة.

وقال بروس: «هذه صديقةٌ زوجتي العزيزة.»

من الواضح أنه لم يكن هناك سوى كاتبة سوداء واحدة طولها ستة أقدام في نيويورك.

تشاركنا أنا ومارلين ضحكة الفرح على حساب الرجال الذين يعرفون كل شيء.

كانت طيبة نفسية وكاتبة. رأيت أنها كانت من الأشخاص المحببين لدي. فقد كانت

ذكية، مرحة، ومجتهدة، ومنذ ذلك الوقت، أضحت صديقتي، بطريقة لم أكن أتوقعها.

لقد حارب أخي الحبيب بيلي إدمانه على الهيروين من أجل السيطرة على حياته. ما تزال

المعركة محتدمة لكنه أخبرني أنه يريد بصدق أن يتخلص نهائياً من المخدرات. عرضت عليه

أن أدفع مقابل الجلسات مع اثنين من علماء النفس السود البارزين في المنطقة، لكنه رفض.

تحدثت معه عن مارلين مارشال والتقطت أحد كتبها وقراه. كان هذا أمراً نموذجياً لبيلي -

مخدرات أو من دون مخدرات - كان يقوم بواجبه المنزلي. قال إنه يود مقابلتها.

أخبرت مارلين بكل هذا ووافقت على رؤيته، ليس بوصفه مريضاً، بل بوصفه أخاً صديقاً.

تحدثت إلى بروس مارشال ورتبت مع بيلي لتناول الغداء والعشاء في مطعمه. يمكنه إحضار

ضيف والتوقيع على الفاتورة. فقط بروس ومارلين وأنا كنا نعلم أنه لم يدفع. استفاد بيلي من

المطعم وأجرى محادثات بين الحين والآخر مع مارلين جرين مارشال.

لذلك، لمدة عام كان أخي قادراً على التحكم في حياته. لقد شكرت الصدفة لأنني التقيتُ

اثنين من الغرباء في حادثةٍ مضحكةٍ. تعلّمتُ حينها، أنه من الممكن أن يكون ثمة صديق

يختبئ في وجهٍ غريبٍ لا نعرفه.

حركة حقوقية أمريكية. (المترجم).

## سيليا كروز

هناك فنانين معينين ينتمون إلى كل الناس، في كل مكان، وطوال الوقت. قائمة المغنين والموسيقيين والشعراء يجب أن تضمّ ديفيد عازف القيثارة من العهد القديم، إيسوب راوي القصص، عمر خيام صانع الخيمة، شكسبير بارد أفون، لويس أرمسترونج عبقري نيو أورلينز، أم كلثوم روح مصر، فرانك سيناترا، ماهاليا جاكسون، ديزي جيليسي، راي تشارلز ...

يمكننا أن نستمرّ في ذكر الأسماء حتى تنتهي أسماؤنا، لكن اسم سيليا كروز، المغنية الكوبية العظيمة سيظل من بينهم دائماً، اسماً من الأسماء التي تنتمي إلى كل الناس. كانت أغانيها باللغة الإسبانية مثقلة بعاطفةٍ جيّاشةٍ تجاه روح الإنسان.

في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، استمعت لأول مرة إلى إحدى أسطوانات سيليا كروز، وعلى الرغم من أنني كنت أتحدث الإسبانية جيداً إلى حد ما وأحب موسيقاها، إلا أنني وجدت صعوبة في الترجمة. ذهبت للبحث عن كل شيء يتعلّق بسيليا كروز وأدركت أنه إذا كنت سأصبح معجبةً مخلصَةً لها، فيتوجّب عليّ أن أدرس اللغة الإسبانية بجديّة أكبر وهذا ما فعلته.

طلبت المساعدة من أخي بيلي في نيويورك للعثور على كل سجل سجلته وكل مجلة ذكرت اسمها. تحسّنت لغتي الإسبانية مع مرور الوقت، وبعد سنوات عندما عملت مع تيتو بوينتي وويلي بوبو ومونغو سانتا ماريا، كان بإمكانني الجلوس على خشبة المسرح وكذلك التحدث معهم وراء الكواليس.

بدأت الغناء بشكل احترافي، لكن غنائي ترك الكثير مما هو مرغوب فيه. صعدت بنفسني على خشبة المسرح لأن إيقاعاتي كانت مثيرة. بعض الذين نشأت معهم والبعض الآخر وجدته ورفعهم بالكامل من سجلات سيليا كروز.

جاءت كروز إلى الولايات المتحدة وعزفت في مسرح في أبر برودواي في مدينة نيويورك حيث كنتُ أزورها كل يوم من أيام إقامتها. انفجرت على المسرح وكانت مفعمةً بالمشاعر وحاضرة بشكل مؤثر. تعلمت منها أن أقدم كل ما لدي على المسرح. والآن، بعد مرور أكثر

من أربعين عاماً، من دون موسيقا وبقراءاتٍ بسيطةٍ، صرتُ قادرةً على قراءة الشعر وإرضاء الجماهير. تعلمت الكثير من سيليا كروز خصوصاً كيف أقدم أفضل ما لديّ على المسرح. يستمد جميع الفنانين العظماء من نفس المصدر: القلب البشري، الذي يخبرنا جميعاً أننا متشابهون أكثر من الأشياء التي تفرّقنا.

## فاني لو هامر

«كل ما قدّمناه، يرمي إلى أن نصبح مواطنين من الدرجة الأولى، وإذا لم يجلس حزب الحرية الديمقراطي الآن، فأنا أسأل أمريكا، هل هذه أمريكا، أرض الأحرار، وطن الشجعان، حيث نحن يجب أن ننام وهواتفنا مغلقة لأن حياتنا مهددة يومياً لأننا نريد أن نعيش كبشر محترمين في أمريكا؟ شكراً لك.» فاني لو هامر

من المهم أن نعرف أن هذه الكلمات جاءت على لسان امرأة أمريكية من أصل أفريقي. من الضروري أن نعرف أن هذه الكلمات تأتي من قلب أمريكي.

أعتقد أن هناك رغبة ملحّة في القلب الخاص الأكثر عزلةً لكل أمريكي، الرغبة في الانتماء إلى بلد عظيم. أعتقد أن كل مواطن يريد أن يقف على المسرح العالمي ويمثل بلداً نبيلاً حيث لا يسحق القويّ الضعيفَ على الدوام وحلم الديمقراطية ليس ملكاً للأقوياء فقط.

يجب أن نستمع إلى الأسئلة التي طرحتها فاني لو هامر قبل أربعين عاماً. على كلِّ أمريكية في كل مكان أن تطرحَ هذه الأسئلة على نفسها هذه الأسئلة التي طرحها هامر:

ما هو رأيي في بلدي؟ ما الذي يرفع كتفي ويشير دمي عندما أسمع كلمات الولايات المتحدة الأمريكية: هل أمدح بلدي بما فيه الكفاية؟ هل أمدح رفاقي المواطنين بما فيه الكفاية؟ ما الذي يوجد في بلدي يجعلني أعلق رأسي ويصرف عيني عندما أسمع كلمات الولايات المتحدة الأمريكية، وماذا أفعل حيال ذلك؟ هل أنقل خيبة أمني إلى قادتي ورفاقي المواطنين، أم أنني شخصٌ معزولٌ، يجلسُ في الأعلى ويبدو منخفضاً؟ كأيركيين، يجب ألا نخاف من الإجابة.

لقد طرحنا أسئلة على امتداد السنين وقدّمنا إجابات، يحفظها أطفالنا إلى الآن، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأمريكي المنطوق.

قال باتريك هنري: «لا أعرف المسار الذي قد يتخذه الآخرون، ولكن بالنسبة إلي، أعطني الحرية أو أعطني الموت.»

قال جورج موسى هورتون، شاعر القرن التاسع عشر، الذي وُلِدَ عبداً: «للأسف، ولدت من أجل هذا، لأرتدي هذه السلسلة الوحشية؟ يجب أن أقطع الأصفاد من معصمي وأعيش رجلاً

حرًا مرّة أخرى».

« كان مجرد التفكير في كونك مخلوقًا من الحاضر والماضي أمرًا مزعجًا. كنت أتوق إلى المستقبل أيضًا وأحملُ تجاهه آمالًا. أيقظت الرغبة في أن أكون حرًا في التفكير وفي التعبير».

فريدريك دوغلاس

دفع حب الديمقراطية هاريت توبمان إلى السعي والعثور ليس فقط على حريتها، ولكن للقيام برحلات لا حصر لها إلى جنوب العبيد لتحرير العديد من العبيد وغرس الفكرة أن الحرية ممكنة في قلوب الآلاف.

كانت فاني لو هامر وحزب الحرية الديمقراطي في ميسيسيبي يقفان على عتبة التاريخ عندما عملا على إزاحة الظلم من على ظهر الشعب الأمريكي. من المناسب تكريم ذكرى فاني لو هامر والأعضاء الناجين من حزب الحرية الديمقراطي في ميسيسيبي. على هداياهم لنا، نقول شكرًا لكم.

قلب الإنسان رقيق وحساس إلى درجة أنه يحتاج دائماً إلى بعض التشجيع الملموس لمنعه من التعثر أثناء مرحلة المخاض. إن قلب الإنسان قوي جداً وصلب إلى درجة أنه كلما تم تشجيعه، أطلق نبضاته بحماس لا ينضب. الموسيقى هي الشيء الوحيد الذي يشجع القلب. على مر العصور، ألفنا أغان لننمو ونعيش بها. لقد ابتكرنا نحن الأمريكيين الموسيقا لتقوية القلوب وإلهام روح الناس في جميع أنحاء العالم.

عرفت فاني لو هامر أنها امرأة واحدة، امرأة واحدة فقط. ومع ذلك، عرفت أنها أمريكية، وباعتبارها أمريكية، كان لديها ضوء لتسلطه على ظلام العنصرية. كان ضوءاً خافتاً، لكنها وجهته مباشرة لتخترق كآبة الجهل.

كانت الأغنية المفضلة لفاني لو هامر هي الأغنية البسيطة التي نعرفها جميعاً. لقد غناها نحن الأمريكيين منذ الطفولة...

« هذا الضوء الذي أحمله

سأجعله يشرق

سأجعله يشرق

«سأجعله يشرق..»

## السينغال

كانت سامية ممثلة سينغاليّة مشهورة، ترتدي ثياباً متألقة متدفقة. التقيتها في رحلة إلى باريس. كانت هي وزوجها الفرنسي بيير عضوين في مجموعة من المفكرين الفيين الذين يحتسون براميل من النبيذ الرخيص ويناقشون كلَّ شيءٍ وكلَّ شخص، من نيتشه إلى جيمس بالدوين.

اندمجت في التجمّعات الباريسيّة بشكلٍ مريح. كنّا حينها نفتخر بشبابنا وموهبتنا وذكائنا وكأننا صنعنا الهدايا بأنفسنا.

قالت سامية إنها عاشت وزوجها معظم العام في داكار، عاصمة السنغال، وسأكون دائماً موضع ترحيب في منزلهما. مرت سنوات قبل أن أزور السنغال، لكن رقم الهاتف الذي قدماء لي ما يزال يعمل. دعيت لتناول العشاء.

دخلت غرفة جلوس مؤثثة بشكل جميل على إيقاع ضحكات الناس. اندمج الضيوف ببعضهم بعض. كان العديد من الأوروبيين مثل الأفارقة يستمتعون بحفل كامل. عرّفتني سامية على مجموعة صغيرة بالقرب من الباب وظلت تتحدث إلينا حتى قدّم لي النادل الشراب. كنت أتجول من مجموعة إلى أخرى. كانت لغة سامية الأولى هي السرير لكنني لم أتحدث اللغة السيريرية واللهجة السنغالية جعلت الفرنسية التي يتم التحدث بها، يصعب عليّ فهمها. مررت بباب مفتوح حيث وقف الناس على طول الجدار، مع الحرص على عدم الدوس على السجادة الشرقية الجميلة في وسط الغرفة.

كنت أعرف امرأة في مصر لا تسمح لخادميها بالسير على سجّادتها وتقول إنها وعائلتها وأصدقاؤها فقط هم الذين يحقّ لهم الدوس على سجّادتها باهظة الثمن. تدهورت سامية في تقديري. من الواضح أنها أبلغت ضيوفها بأنها لن تنظر إليهم بشكلٍ إيجابي إذا داسوا على بساطتها. تساءلت ما هي الكلمات التي يستخدمها المرء لإعلام الضيف بكيفية التصرف؟ لقد قرّرتُ اكتشاف ذلك.

دخلت الغرفة وأنا أنظرُ بعمقٍ إلى بعض اللوحات المعلّقة على الحائط، عبرتُ من منتصف السجادة، ثم استدرت وسرت إلى لوحة أخرى. لا بد أنني دسّتُ على السجادة أربع أو خمس

مرات. ابتسم الضيوف الذين تجمّعوا على الحافّة وهم ينظرون إليّ باز دراءٍ. عليهم أن يتشجعوا ويقتنعوا بأنّ السجّادة جعلت كي نمشي فوقها.

ابتسمت لي امرأة سنغالية ترتدي عباءة بيضاء من الديباج وتحدثت معي. كانت كاتبة وبدأنا نتحدث عن الكتب. أصبحت مهتمة للغاية إلى درجة أنني كدت أن أفوت المشهد التالي. جاءت خادمتان ولفتا البساط الذي مشيت عليه وأخذتاه بعيداً، ثمّ عادتا على الفور مع أخرى جميلة بنفس القدر. قامتا بنشره، ثمّ مُسّ حتى يصبح ناعماً.

ثم وضعوا أكواباً على السجادة وملاعق تقديم ضخمة ومناديل مطوية وأواني فضية ونيذ وأباريق ماء. أخيراً، تم وضع وعاء من الأرز والدجاج على البخار على السجادة.

ظهرت سامية وبيار وهما يصفقان بأيديهما ليلفتا الانتباه. أعلنت سامية أنهم كانوا يقدمون الطبق السنغالي الأكثر شعبية «ياسا» لأختنا من أمريكا. لوّحت لي بيدها وقالت: «مايا أنجلو» مضيئة: «هل نجلس؟».

سقطَ جميع الضيوف على الأرض. كنتُ أكتوي بنيران الخجل. لحسن الحظ، بسبب لون بشرتي البنيّ كلون الشوكولاتة، لم يعرف الناس أنني كنت أكتوي بإحساس عميق بالذنب. مايا أنجلو الذكية والرائعة للغاية، كنت أسير لأعلى ولأسفل فوق مفرش المائدة.

جلست، لكنني وجدت صعوبة في ابتلاع الطّعام. كان على الطعام أن يشق طريقه ويجتاز عقدة الإحراج تلك.

في ثقافة مغايرة، من الحكمة عدم تقديم أي ابتكارات أو اقتراحات أو دروس.

البساطة المطلقة هي خلاصة التطور.

## الشاشة الفضية الخالدة

مرت سنوات عديدة على قيام المعهد الأمريكي للأفلام بتكريم ويليام وايلر، أحد أكثر المخرجين إنتاجيةً في هوليوود وأكثرهم شهرة. لقد طلب مني، بصفتي عضوةً في مجلس الأمناء المشاركة في الحفل أن أكتبَ تقديمًا بسيطًا. بالطبع أسعدتني الدعوة وقبلتها.

حضر الحفل، الذي أقيم في فندق Century Plaza Hotel الفاخر، أكثر الممثلين والممثلات شهرة في ذلك اليوم. كان هناك فريد أستير، وكذلك أودري هيبورن وجريجوري بيك. كان والتر بيدجون وجريير جارسون وهنري فوندا وتشارلتون هيستون وسط الجماهير متألّفًا. جلست مرتجفةً على طاولة وجلتُ ببصري في الغرفة. كانت هذه بعض الوجوه هي التي شكّلت وعيي بالرومانسية والكرامة والعدالة. أظهر هؤلاء الأشخاص على الشاشة الفضية الذعمة والأخلاق والجمال والفروسية والشجاعة. ثم طفت صورة دار السينما المنعزلة في بلدتي الصغيرة في أركنساس في وعيي فجأةً.

في كل مرة نذهب فيها أنا وأخي إلى عرض للصّور، كان علينا أن نتحدى النظرات العدائية للكبار البيض، وبمجرد وصولنا إلى شبك التذاكر، ندفعُ أموالنا ويشيرون إلينا بوقاحة أن نمضي نحو درج خارجي متهالك يؤدي إلى شرفة (تسمى مجثم الصقر) وهو مكانٌ مخصّصٌ فقط للعملاء السود.

هناك جلسنا، وأيادينا على خدودنا، منحشرين في مساحة ضيقة وأقدامنا تطحن أغلفة الحلوى المهملة وغيرها من الحطام على الأرض. جلسنا هناك وفكرنا بعمقٍ كيف سنتصرّف حين نكبر ونصبحُ جميلين وأثرياء وببشرة بيضاء.

مرت سنوات و جلست الآن في قاعة الاحتفالات المتألّذة بالفندق وشاهدت نجمًا سينمائيًا بعد صعود نجم سينمائي لتكريم السيد وايلر. أعادتني الذكريات القديمة إلى أيام الذلّ الجنوبيّ. عندما تم مناداة اسمي، هربت من ذهني كل كلمة في مقدمتي المحفوظة بعناية، ووقفت عند الميكروفون أنظر إلى الوجوه الشهيرة، غاضبةً لأنهم كانوا، حتى عن غير قصد، أسباب حيرتي القديمة. زاد الغضب من ثقل لساني وأبطأ عقلي. فقط من خلال ممارسة السيطرة الهائلة تمكنت من منع نفسي من الصراخ: «أنا أكرهكم. أنا أكرهكم جميعًا.

أكرهكم على قوتكم وشهركم وصحتكم ومالكم وقبولكم». أعتقد أنني كنت خائفةً، إذا فتحت فمي سأدلي بالحقيقة. «أنا أحبك لأنني أحب كل ما لديك وكل ما أنت عليه». وقفت صامتةً أمام جمهورٍ من المشاهير، وبعد عدة محاولات للمتحدث تمت ببضع كلمات وخرجت من القاعة.

كانت هناك شائعة غير صحيحة مفادها أن المخدرات جعلتني أفقد عقلي. بعد التفكير في الحادث المؤلم، أتذكر ما أعطاني إياه أركنساس. أدركت أنني لا أستطيع أن أنسى من أين أتيت. يجب أن تنظر روعي دائماً إلى الوراثة وتتساءل عن الجبال التي تسلقتها والأنهار التي نسيتهما والتحديات التي ما زالت تنتظرنني على الطريق. لقد تعززت من خلال تلك المعرفة.

## دفاعاً عن الذات

كان لي موعد في الآونة الأخيرة مع أربعة منتجين تلفزيونيين أرادوا أن يأخذوا إذناً مني لإنتاج قصة قصيرة كتبها.

كما يحدث في كثير من الأحيان، ظهرت زعيمة المجموعة على الفور. لم يكن هناك شك حول من كان الرئيس. كانت المرأة صغيرة، ذات ابتسامة خاطفة ونبرة عالية. واجهت كل ما قلته بردٍ ساخر. لم يكن من الجيد أن أنهالَ عليها ولكن إشاراتنا الكافية كانت كفيلة كي أتبين أن غايتها الوحيدة هي أن تجعلني في درجة أدنى منها.

قلت: «أنا سعيدة لأننا التقينا في هذا المطعم، إنه أحد المطاعم المفضلة لدي».

قالت: «لم أزر هذا المكان منذ سنوات ولكني أتذكر آخر مرة زرته فيها، كان الجو فيه مملاً للغاية كما لو أننا في منزل سيدة عجوز».

نظرت من حولها مبتسمة ثم قالت: «يبدو أن الأمر لم يتحسن».

بعد أن ردت بسخرية على أقوالي ثلاث مرات، سألتها: «لماذا تفعلين ذلك؟».

أجابت بصوت بريء حلو: «ماذا، ما الذي فعلته؟».

قلت: «أنت تهاجميني باستحياء».

ضحكت وقالت: «أوه لا، لقد كنتُ أبينُ لك فقط أنه لا يمكنك أن تكوني على صواب بشأن كل شيء طوال الوقت. عموماً، أودُّ أن أخوضَ القليل من الحرب الكلامية. إنها حربٌ تشحذ الذكاء. أنا جريئةٌ بدرجةٍ متوحشة».

استجمعتُ أنفاسي وتمالكتُ نفسي وأمرتها بأن تكون لطيفة.

سألت المنتج: «حرب كلامية؟ هل تريدان حقاً مناداتي إلى حلبة حربٍ كلامية؟».

فقلت بجرأة: «نعم، أريدُ ذلك، نعم، أريدُ ذلك».

«لا، لا أَرغبُ في ذلك، ولكن دعينا نتحدث عن الأعمال التي جمعتنا معاً. طلبتُ مؤسستك إذني لدراسة قصتي القصيرة للإنتاج التلفزيوني. أريدُ أن أقول لك «لا»، لستُ موافقةً».

قالت: «نحنُ لم نقدِّم لكِ عرضاً حتَّى الآن».

أجبتها: «هذا لا يهم. أعلم جيداً أنك لن توفري لي بيئة هادئة أو ممتعة أعمل فيها. هذه ليست طريقة عمل لائقة، لذا فأنا مضطرة لرفض أي عرض قد تقدمينه».

اعتقدت أنه كان بإمكانني أن أضيف: «صدِّقيني، لا تجعليني خصمك لأنني ما إن أشعر أنني تحت التهديد، سأقاتل من أجل الفوز، وفي هذه الحالة سوف أنسى أنني أكبر منك بثلاثين عاماً وأترك سمعة المرأة العظوفة جانباً. ولو دخلنا في شجارٍ، ورأيت أنني قد هزمتك، فسأشعر بالحرج لأنني أيقظتُ كلَّ هذا الألم، واستدعيتُ كل هذا الفرح، وجلبت كلَّ هذا الخوف والمجد الذي عشت فيه، كي أنتصرَ على امرأة واحدة لم أكن أعلم أنها يجب أن تكون حذرة مما تقوله ولن تعجبني نفسي كثيراً. وإذا تغلبت عليّ، فسأكون محطمةً وقد أبدأ في رمي الأشياء التي من حولي».

أنا لا أفخر أبداً بالمشاركة في عملٍ عنيف، ومع ذلك، فأنا أعلم أن كل واحد منا يجب أن يهتم بما يكفي بنفسه، حتى نكون مستعدين وقادرين على الدفاع عن أنفسنا متى وحيثما دعت الحاجة.

## كورييتا سكوت كينج

على مدى السنوات القليلة الماضية، وحتى في الأشهر القليلة الماضية، ودَّعتُ أصدقائي الذين عرفتهم على مدى أربعين عاماً بترددٍ أصدقائي الذين أفتقدتهم، والذين تعلمت معهم العديد من دروس الحياة اللطيفة والأكثر إيلاماً.

ما زلت أفتقد جيمس بالدوين وأليكس هالي والحديث بصوت عالٍ والصراخ والضحك والبكاء في عطلات نهاية الأسبوع التي قضيناها معاً. كانت بيتي شبار قريبة بما يكفي بالنسبة إليّ لأتذكر ما كانت ترتديه عندما قمت بطهي العشاء لها آخر مرة. كتبتُ أنا وتوم فيلينجز كتاباً معاً ورسمنا صورة لأمي الراحلة وعلَّقتها في غرفة نومي. لقد تحدثتُ إلى أوسي دايفيز قبل أيام قليلة من وفاته ووافقت على الوقوف نيابة عنه وزوجته روبي دي في خطوبة لم يتمكننا من حضورها في واشنطن العاصمة.

ومؤخراً، ودعت كورييتا سكوت كينج، الأخت المختارة. ومع اقترابي من عيد ميلادي كل عام، أتذكر أن مارتن لوثر كينج اغتيل في عيد ميلادي، وفي كل عام على مدار الثلاثين عاماً الماضية، أرسلنا أنا وكورييتا سكوت كينج الزهور أو البطاقات لبعضنا البعض أو شاركنا مكالمات هاتفية في أربعة أبريل من كل عام.

أجد صعوبة بالغة في السماح لصديق أو حبيبي بالذهاب إلى ذلك البلد الذي لا عودة فيه. أجيب على السؤال البطولي: «أين لدغتك أيتها الموت؟» مع ذلك، أتحمسُ تلك اللدغة «هنا في قلبي وعقلي وذكرياتي».

أنا محاصرة برهبة مؤلمة من الفراغ الذي خلفه الموتى. إلى أين ذهبت؟ أين هو الآن؟ هل هم، كما قال الشاعر جيمس ويلدون جونسون، «يستريحون في حضن يسوع؟» إذا كان الأمر كذلك، فماذا عن أحبائي اليهود، وأحبائي اليابانيين، وأعزائي المسلمين. في حضن من يُحتضنون؟

أجد الراحة من الأسئلة فقط عندما أقر بأنني لست مضطراً لمعرفة كل شيء. أذكر نفسي أنه يكفي أن أعرف ما أعرفه، وأن ما أعرفه قد لا يكون دائماً صحيحاً.

عندما أجد نفسي أستعِرُ غضباً من فقدان حبيب، أحاول في أقرب وقت ممكن أن أتذكر أن  
مخاوفي وأسئتي يجب أن تركز على ما تعلمته أو ما لم أتعلمه بعد من حبي الراحل. ما هو  
الإرث المتبقي والذي يمكن أن يساعدني في فن عيش حياة كريمة؟

هل تعلمتُ أن أكونَ كريمةً

أن أكونَ صبورةً

وأكثرَ كرماً،

مغمورةً بحبِّ أكبرَ

مستعدةً أكثرَ للضحك

وهشةً بما يكفي، كي أفتحَ عيني للدموع

إذا قبلت تلك الموروثات من أحبائي الراحلين، يمكنني أن أقول، شكراً لهم على محبتهم  
وأشكر الربَّ على حياتهم.

## عزاءات

للحظة وجيزة جداً في الكون تم رفع الحجاب. أصبح الغامض معروفاً. اجتمعت الأسئلة  
إجابات في مكان ما وراء النجوم. تم تنعيم الحواجب المجعدة وإغلاق الجفون على نظرات  
طويلة غير متراصة.

حبيبك احتل الكون. استيقظت على أشعة الشمس واستلقيت للنوم تحت ضوء القمر.  
كانت الحياة كلها هدية مفتوحة لك، مزدهرةً من أجلك. غنت الجوقات على إيقاع القيثارات  
وتحرّكت قدمك إلى قرع طبول الأجداد. لقد كنت مسنوداً بذراعي من تحب.

الآن تمتدّ الأيام أمامك بجفاف وتماثل الكشبان الصحراوية. وفي موسم الحزن هذا أصبحنا  
نحن الذين نحبك غير مرئيين لك. كلماتنا تقلق من الهواء الفارغ من حولك ولا يمكنك أن  
تشعر بأي معنى في كلامنا.

ومع ذلك، نحن هنا وما زلنا هنا. صدى نبضات قلوبنا تقفُ إلى جانبك.  
نحن نحبُّك على الدوام.  
أنت لست وحيداً.

## فب وادي التّواضع

في أوائل السبعينيات دعيت للتحدث في جامعة ويك فورست في وينستون سالم. تم دمج المدرسة مؤخراً فقط.

أخبرت زوجي أنني مهتمة بالزيارة. لقد كان بانياً محترفاً ووقع للتوّ عقداً كبيراً ولهذا لم يكن في وسعه أن يرافقني. اتصلت بصديقتي المقربة في نيويورك. قالت دوللي ماكفرسون إنها ستقابلني في واشنطن العاصمة، ويمكننا السفر جنوباً معاً.

لقيت محاضرتي استحساناً في الجامعة وقبل أن أتمكن من مغادرة المبنى، جاء الطلاب إليّ وطلبوا مني مقابلتهم.

ذهبت مع دوللي إلى صالة الطلاب حيث احتشدوا على كل أريكة وكرسي ومقعد ووسادة على الأرض. كانوا منفصلين بشكل واضح عن الطلاب السود يجلسون في الأمام ضمن مجموعة.

لم يكن هناك أي تردد في طرح الأسئلة. قال شاب ذو بشرة بيضاء: «أنا في التاسعة عشر من عمري، سأصبح رجلاً، لكن بالمعنى الدقيق للكلمة، ما زلت صبياً. لكن هذا الرجل الذي يجلسُ هناك» أشار إلى الطالب ذي البشرة السوداء «يغضب إذا وصفته بالصبّي ونحن في نفس العمر. لماذا يغضب؟» لوحت إلى الطالب الأسود: «إنه هناك، لماذا لا تسأله؟».

قالت طالبة سوداء: «التحقت بجامعة جيّدة حيث نلتُ شهادتي الجامعيّة بتفوّق. أنا أتحدث الإنجليزية بشكل جيد. [أومات برأسها إلى الطلاب البيض]، لماذا يعتقدون أنني أريدُ منهم التحدّثَ معي بلهجاتٍ ثقيلةٍ أجدُ صعوبةً في فهمها؟».

طلبتُ منها أن تُخبرني كيف تمّ التحدّثُ إليها. قالت: «إنهم يقولون، مرحباً، كيف حالك؟ هل أنت بخير؟». تحدّثت بلهجة جنوبيّة مبالغ فيها، أثارت ضحك الجميع.

قلتُ: «إنهم جميعاً هناك، لماذا لا تطلين منهم ذلك؟». عندما بدأوا يتحدّثون مع بعضهم البعض، أدركت أنني كنت أستخدمُ كجسرٍ. لم يكن لدى آباء هؤلاء الطّلاب لغة البتّة، مما سمح لهم بالتحدّث مع بعضهم البعض على قدم المساواة، والآن يقوم أطفالهم بإنشاء طريقة تسمح لهم بإجراء حوار. جلست معهم حتى منتصف الليل وأنا أشجعهم وأحثهم على الكلام.

عندما وقفت وأنا مرهقة، جاءني توم مولين، عميد كلية ويك فورست وقدم لي عرضاً: «د. أنجلو، إذا أردت التقاعد، فنحن نرحب بك في جامعة ويك فورست. سنكون سعداء بتوفير مكان لك بيننا». شكرته بأدب لعلمي أنني لن آتي إلى الجنوب لأعيش فيه.

في صباح اليوم التالي، تم اصطحابي أنا ودولي إلى المطار في وقت مبكر بما يكفي لتناول الإفطار في المقهى. لقد حصلنا على طاولة وطلبنا وجبة الإفطار. جلسنا دون أن يتم إحضار طلبنا لأكثر من ثلاثين دقيقة. لقد لاحظت أنني أنا وهي العملاء السود الوحيدون في المطعم. أخبرت دوللي: «أختي، استعدي للذهاب إلى السجن، لأنه إذا لم يحم هؤلاء الأشخاص بخدمتنا، فسوف أقوم بإغلاق المكان». قالت بهدوء: «حسناً يا أختي».

خاطبتُ النادلة، وهي شابة بيضاء نحيلة الجسم. قلت: «أختي طلبت عجة الجبن وطلبت لحم الخنزير المقدم والبيض، منذ ثلاثين دقيقة. إذا كنت لا تريدين خدمتنا، أنصحك أن تخبريني بذلك، ثم اتصلي بالشرطة».

جزعت الشابة على الفور. تحدثت بلهجة سكان نورث كارولينا الناعمة، فقالت: «لا يا سيدتي، ليس الأمر كذلك، لقد نفذ الفريك لدى الطاهي. وهو لا يستطيع تقديم وجبة الإفطار بدون فريك. انظري، نصف الناس في هذا الجانب لا يأكلون. سيكون الفريك جاهزاً في غضون عشر دقائق تقريباً وبعد ذلك سأقدم لك طلبك».

شعرت بالرهبة في كل الأوقات. استعرتُ بيران الخجل، فاعتذرت للنادلة بطريقة ما، وسيطرت دوللي ماكفرسون على نفسها، ولم أعبر لها عن مدى غبائي. عندما عدت إلى منزلي المتين وزوجي الثابت، أخبرت الجميع عن الجامعة والطلاب والعرض.

كنت متزوجة من بول ديفو Paul DuFeuf، وهو بان رئيسي وكاتب ورسام كاريكاتير مشهور في إنجلترا. في غضون يومين من لقائنا، علمنا أننا كنا في حالة حب معاً وكان علينا أن نعيش معاً.

لمدة عشر سنوات، كنا ندهش، ونتسلى، ونغضب، وندعم بعضنا البعض. بشكل غير متوقع، حلقت سحابة عاصفة في مناخ الحب المشمس هذا. أزعجه استفساراتي، اعترف زوجي أنه سئم من الزواج الأحادي وبحاجة إلى شيء يحدث حركية على حياته.

انفصلنا حينَ بدأتُ القيامَ بجولة محاضرة وطنية. نظراً لأن زوجي كان يعمل في مجال البناء وكان مقر عمله في شمال كاليفورنيا، فقد قررت أن أقدم له هدية من سان فرانسيسكو والجسور والتلال ومطاعم الذواقة وإطلالة جميلة على الخليج.

يقدم الطلاق مثل أي طقوس مرور أخرى مناظر طبيعية جديدة وإيقاعات جديدة ووجوهاً وأماكن جديدة وأحياناً أعراقاً مختلفة.

لقد أتممت مشاركاتي في المحاضرة في جميع أنحاء البلاد، وفي الوقت نفسه أبحث عن مكان آمن ومريح لأقع فيه. بصفتي كاتبة، يجب أن أكون قادرةً على التقاط فوطي الصفرى وأقلام الحبر وقاموس راندوم هاوس وقاموس روجيت.

كانت دنفر بولاية كولورادو جميلة، لكن هواءها خام للغاية، وبينما كان هناك بعض السود واللاتينيين والأمريكيين الأصليين، لم تكن المدينة نفسها متكاملة. نظرت إلى تشاتانوغا بولاية تينيسي، لكن جزءاً كبيراً من سكانها كانوا ما يزالون مصطفين بنشاط على الجانب الكونفدرالي في الحرب الأهلية المستمرة.

كانت المدن الأخرى التي زرتها إما كبيرة جداً / أو صغيرة جداً ومعزولة. بدا أن كامبريدج، ماساتشوستس، لديها كل ما أردته، التاريخ والجامعات ومزيج من الأجناس والمكاتب الرائعة والكنايس وأماكن الاحتفال ليلة السبت. فقط وينستون سالم، نورث كارولينا، مع كل الأصول نفسها، تتنافس مع كامبريدج. لقد زرت كلتا المدينتين مرتين.

أخيراً تحررتُ من كامبريدج لأنني امرأة جنوبية لا تقفُ عندَ نعمة معينة.

بمجرد أن استقرت في وينستون سالم، جاء إليّ الدكتور إد ويلسون، عميد الجامعة والدكتور توم مولين، الذي عرض عليّ منصباً قبل عقد من الزمان، وعرض عليّ منصب أستاذ مع تعيين مدى الحياة. شكرتهم وقلت إنني سأستغرق عاماً لمعرفة ما إذا كنت أحب التدريس، وما إذا كنت أحب وينستون سالم.

في غضون ثلاثة أشهر من التدريس، تلقيت وحيًا هائلاً؛ أدركت أنني لست كاتبةً تلقي دروساً، لكنني مدرّسةٌ تمارسُ مهنة الكتابة.

في زيارات سابقة إلى ولاية كارولينا الشمالية، كنت قد أقمت صداقات مع رئيسة قسم اللغة الإنجليزية، إليزابيث فيليبس، وأعضاء هيئة تدريس آخرين. في المساء بعد العشاء وبعد الظهر بعد الغداء، كنت أطرح عليهم أسئلة أربكتني. كنت في حاجة لمعرفة كيف قبلوا فكرة

التَّمييزِ؟ هل اعتقدوا حقاً أن السود أدنى منزلة من البيض؟ هل اعتقدوا أن السود ولدوا بمرضٍ معدٍ، مما جعل الجلوس بجانبنا في الحافلات أمراً خطيراً بينما يسمحون لنا بطهي وجباتهم وحتى إرضاع أطفالهم؟

شعرت بالارتياح وأنا أستمعُ إلى زملائي الجدد يجيبونني بصراحة وصدق وأحياناً بإحراجٍ وأحياناً متأسفين «لقد فكرت في الأمر ولكن لم أكن أعتقد أن هناك أي شيء يمكنني القيام به لتغيير الوضع». «عندما احتج الشباب السود من خلال الجلوس في متجر دايم 5 في جرينسبورو، وكنت فخورة جداً. أتذكر أنني كنت أتمنى لو كنت أسود ويمكنني الانضمام إليهم».

سواء أحببت ذلك أم لا، كان عليّ أن أعترف أنني فهمت شعور زملائي بالعجز. أكّدت ردودهم إيماني بأن الشجاعة هي أهم الفضائل. كنت أعتقد، لو كنت بشرة بيضاء خلال حقبة الفصل العنصري، ربما كنت أيضاً قد اتخذت خط المقاومة الأقل.

بدأت أتماثلُ للشفاء عندما استقررتُ في وينستون سالم، حيثُ المناظر الطبيعية المتموجة مليئة بأشجار القرانيا المزهرة، أشجار القيقب، وشجرة الورد التي يبلغ ارتفاعها ستة أقدام. تقع وينستون سالم في بيدمونت، تحديداً عند سفح الجبال. وتكئُّ على سلسلة جبال سموكيس العظيمة وبلو ريدج. أنا أحبُّ الخفّة التي تكتسيها ولاية كارولينا الشمالية. يقول السكان الأصليون إن ولايتنا هي وادي التواضع، يعلوه برجان من الغرور، وهما فيرجينيا وساوث كارولينا.

كنت سعيدةً بالعثورِ على متاحف جيّدةٍ وكنائسٍ ممتازةٍ بها جوقات للغناء، ومدرسة فنون من الدرجة الأولى، أنجبت نجوم مسرحيات برودواي وكرسي عازف كمان لفرقة نيويورك السيمفونية.

لقد وقعت في غرام اللهجة الناعمة التي يُعني بها السكان الأصليون إضافةً إلى طرائقهم الإبداعية في اللغة الإنجليزية. في السوبر ماركت سألتني المدققة كيف أحببت وينستون سالم؟ أجبت: «لقد أحببتها، لكنّ الجوَّ فيها حارٌّ جداً. لا أعرف ما إذا كان بإمكانني تحمل ذلك».

التحقتُ بالكنيسة المعمدانية بجوقاتها العظيمة وخادمها المخلص. يوجد بالقرب من المستشفى الرئيسي والمستشفى التدريبي للمدينة. ركزت إحدى زميلاتي اهتمامها على إميلي

ديكنسون وأخرى على الشعر الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ممّا يعني أنه يمكنني العثور على أصدقاء لمناقشة الشعر، وهو أحد أكثر الموضوعات المفضلة لديّ.

لا تخلو ونستون سالم من الصعوبات. ما تزال العنصرية مستعرة وراء العديد من الوجوه المبتسمة، وإلى الآن يتمّ التطرُّق إلى النساء في بعض الدوائر، على أنهنّ أوانٍ جميلة صالحة.

قال لي صديقي الراحل جون أو كيلينز ذات مرّة: «ماكون، جورجيا، هما الجنوب السفلي، ومدينة نيويورك هي الجنوب الأعلى».

## الرّوحُ القوميّة

على مدى العقود الأربعة الماضية تراجعت روحنا القوميّة وفرحنا الطبيعيّ. لقد تضاءلت توقعاتنا الوطنية. لقد تضاءل أملنا في المستقبل إلى درجة أنّ سخریتنا وحسّ الخطر ينهضان في أرواحنا كلّما أحيينا أملاً في غد مشرق.

كيف وصلنا وحيدین إلى هذا المكان في وقت متأخّر جداً؟ متى تخلينا عن رغبتنا في الحصول على أرضية أخلاقية عالية لأولئك الذين يفسدون المشهد الوطنيّ باتهامات بذيئة وتخمينات جسيمة؟

ألسنا نفس الأشخاص الذين خاضوا حرباً في أوروبا للقضاء على تهديد آريّ بقتل جنس بأكمله؟ ألم نعمل ونصلي ونخطط لخلق عالم أفضل؟ ألسنا نفس المواطنين الذين ناضلوا وساروا وذهبوا إلى السجن وشهدوا العنصرية المشروعة من بلادنا؟ ألم نحلم ببلد تكون فيه الحرية متجذّرة في الضمير الوطني وكانت الكرامة هي الهدف؟

يجب أن نُصرّ على أن الرجال والنساء الذين يتوقعون أن يقودونا يعترفون بالرغبات الحقيقية لأولئك الذين يتم قيادتهم. نحن لا نختار أن نجمع في مبنى يحترق بالكراهية ولا في نظام مليء بالتعصب.

يجب على السياسيين تحديد أهدافهم للأرض المرتفعة ووفقاً لميولنا المختلفة، ديمقراطي، جمهوري، مستقل نبتّعه.

يجب إخبار السياسيين أنّهم إذا استمروا في الغرق في وحل الفحش، فسوف يمضون بمفردهم.

إذا تحمّلنا الابتذال، فسوف يتأرجح مستقبلنا ويقع تحت عبء الجهل. لا يجب أن يكون الأمر كذلك. لدينا العقل والقلب لمواجهة مستقبلنا بشجاعة. تحمل المسؤولية عن الوقت الذي نشغله والمساحة التي نشغلها. من أجل احترام أسلافنا وانطلاقاً من الاهتمام بأحفادنا، يجب أن نظهر أنفسنا على أننا أمريكيون مهذبون وشجعان ولديهم حسن النية. الآن.

## استعادة الجذور الجنوبية

بعد أجيال من الانفصال وعقود من النسيان، يعيد ذكر الجنوب إلى ذكرياتنا سنوات عديدة من الألم والمتعة. في مطلع القرن العشرين، غادر العديد من الأمريكيين الأفارقة المدن الجنوبية، وتركوا التحيز والحظر الساحق، وانتقلوا شمالاً إلى شيكاغو ومدينة نيويورك، وغرباً إلى لوس أنجلوس وسان دييغو.

لقد انجذبوا إلى الوعد القوي بحياة أفضل، والمساواة، والإنصاف، والحرية الأمريكية القديمة الجيدة من فئة الأربع نجوم. لقد تحققت توقعاتهم في الحال وفي نفس الوقت تحطمت على الأرض وتحطمت في شظايا خيبة الأمل.

نشأ الشعور بالإنجاز من حقيقة أن هناك فرصاً لتبادل الكدح الذي يطغى عليه الأمل لزراعة المحاصيل مقابل العمل المحميّ بموجب الاتفاقيات النقابية. للأسف على مدى الثلاثين عاماً الماضية، كانت هذه الوظائف تتناقص حيث أصبحت الصناعة محوسبة وتمّ نقلها إلى دولٍ أجنبيةٍ. وجد المهاجرون أن المناخ الذي تصوره المهاجرون خالٍ من التحيز العنصري كان تمييزياً بطرق مختلفة عن الأنماط الجنوبية وربما أكثر إذلالاً.

تم العثور على نسبة صغيرة من السود ذوي المهارات العالية والمتعلمين بشكل كامل وتشبثوا في درجات سلم النجاح. تم فصلُ العمال السود غير الماهرين وغير المتعلمين من قبل النظام مثل العديد من بذور البطيخ غير القابلة للهضم.

شرعوا في تحسُّس الضيق الذي يلفُّ حياتهم، وانعكست في أعينهم صورة الشَّخص الذي بلا معنى. يجب أن يكون العديد من أعضاء تلك المجموعة المبكرة من الحجاج في القرن العشرين يتوقون إلى صدق المناظر الطبيعية الجنوبية حيث حتى لو كانوا أهدافاً لتجار الكراهية الذين أرادوا موتهم، فقد كان يُنسب إليهم على الأقل أنهم على قيد الحياة.

ومع ذلك، فقد بقوا في أكواخ كبيرة في المدينة، مكتظين في مساكن صغيرة، ويتدفقون إلى الشارع اللئيم الذي تطغى عليه الجرائم. لقد قاموا بتربية الأطفال الذين تم إرسالهم إلى الجنوب كل صيف لزيارة الأجداد وأبناء العمومة من الدرّجة الثالثة وأبناء العمومة من الدرجة الثانية والعائلات الممتدة. نشأ هؤلاء الأطفال، بشكل رئيسي في المدن الشمالية الكبرى، مع

ذكريات مية الآن، عن الصيف الجنوبيّ، والبطاطا المقلمية، وحفلات الشواء يوم السبت، والأخلاق اللطيفة للتربية الجنوبية. هؤلاء هم الأشخاص الذين عادوا إلى الجنوب ليعيشوا. غالبًا ما يجدون أن أقاربهم الجنوبيين قد ماتوا أو تم نقلهم إلى ديترويت أو كليفلاند، أو هايو. ما يزالون يأتون للعيش في أتلانتا، «هل تحب هوت لانتا؟» ونيو أورلينز، تعلمت بسرعة تسمية المدينة التاريخية باسمها الشرعي «N'awlins».

يعودون إلى الجنوب ليجدوا أو يصنعوا أماكن لأنفسهم في أرض أجدادهم. إنهم يكونون صداقات تحت ظلال الأشجار التي تركها أسلافهم قبل عقود.

## على قيد الحياة

حيثُ تهبُّ رياحُ الخذلانِ  
وتهوي منازلُ أحلامي على الأرضِ  
يلفُّ الغضبُ مجسَّاتِه حولَ روحي مثلَ أخطبوطٍ  
أوقفُ نفسي، أقفُ عندَ حطامي  
وأبحثُ عن شيءٍ واحدٍ يمكنه ترميمي...  
أجدُ في ذاكرتي

وجه طفل

وجه أيِّ طفل

ينظرُ إلى لعبةٍ تحملُ مفاجأةً عذبةً

وجه طفل

يلوحُ في عينيه وميضُ الأملِ  
حينَ اكتشفتُ أنني أحرقُ في وجهِ حلوةٍ ترتسمُ عليه ملامحُ الشبابِ والصدِّقِ  
سحبتني نيرانِ الحزنِ واليأسِ، وسبحتُ في مناخِ المتعةِ والأملِ.  
في كلِّ مرةٍ، يقودني بحثي عن الحبِّ الحقيقيِّ  
إلى أبوابِ الجحيمِ

حيثُ الشيطانُ ينتظرُ بأذرعٍ مفتوحةٍ

أتخيل ضحك صديقاتي،

ترن أصواتهم مثلَ الرِّيحِ السَّاحرةِ

أتذكر القهقهة القوية من الرجال السعداء وقداي

تجاوزان البوابات المفتوحة المهددة

وتحملاني إلى منطقة آمنة، بعيداً عن الشُّرور والحسرةِ

أنا عامل بناء

في بعض الأحيان بنيت بشكل جيد، ولكن في كثير من الأحيان  
بنيت دون أساسٍ يمدُّ جذوره في الأرض  
بينتُ منزلاً جميلاً  
وعشت فيه لمدة عام  
ثم انجرفت ببطء مع المد والجزر  
لأنني كنت قد وضعت الأساس على الرمال المتحركة  
مرة أخرى بنيتُ بيتاً فآخرًا  
حيثُ النوافذ مشرقة  
مثل المرايا  
والجدران معلقة  
مع نسيج غني، ولكن  
اهتزت الأرض برعشة طفيفة،  
وتراجعت الجدران، وفتحت الأرضيات  
وقلعتي تحطمت إلى شظايا حول قدمي  
التأثير العاطفي للأحداث وعدم الثبات  
يردّدانِ صدى الحبِّ المحتضر.  
لقد وجدت أن المودة الأفلاطونية  
تكمنُ في الصداقات والعائلات  
يمكن الاعتماد على حبِّ الأطفال  
يقينا لرفع الروح المكدومة  
وإصلاح الروح المجروحة  
وانتهيت  
بعاطفةٍ مثيرة.  
إلى أن...

## سلام إلى العاشقين القدامى

تزوجت مؤخراً صديقة تبلغ من العمر خمسة وستين عاماً من رجل يبلغ من العمر اثنين وخمسين عاماً. في الحفل كان هناك العديد من الوجوه المتشددة التي تستنكر الزواج. ما الذي جعله يرغب في الزواج منها؟ ألم تكن هناك شابات أصغر منه بثلاث أو أربع سنوات؟ وإلى ماذا كانت تهدف من خلال الزواج منه؟ في غضون عشر سنوات، ستركب هشاشة العظام ظهرها بدون سرج، وسيؤدي التهاب المفاصل إلى تشويه يديها. إذا لم تتمكن من العثور على رفيق عندما كانت أصغر سناً، فعليها الاستسلام والا ستسلام للشيوخة والوحدة.

وما هو رأيك؟ قلت: «أثني على العشاق، أشعر بالارتياح من قبل العشاق، وشجاعتهم مصدر شجاعة ومصدر إلهام بالنسبة إلي».

لقد جئت لأتحدث

من حب وديانها وتلالها

الهزات والقشعريرة والإثارة

جئت لأقول إنني أحب الحب

وأنا أحب حبَّ الحب

وأنا بالتأكيد أحب

القلوب الشجاعة والقوية

من يجرؤ على الحب.

اليوم هؤلاء العشاق

كسروا قيود الخجل

وخرجوا

أمام العالم بأكمله ليقولوا:

«انظروا إلينا،

لقد حرمتنا على مرّ السنين  
ولم يحث أي من العهود الماضية  
التي أحرقت أرواحنا.  
قد تعتقد أن هذا العهد  
يجب أن يترك لقلوب الشباب  
لكن الحب أعطانا الشجاعة للمغامرة  
بجراً في بلد مقدس  
الزواج، الاعتراف بتجاعيدنا،  
نسمح لهم بذلك  
يظهرون أنفسهم بشجاعة  
وعظما تعرف ثقل  
السنين.

ومع ذلك فنحن نجرؤ  
على مواجهة الوحدة  
ومعانقة كياننا الواحد  
في زفاف...  
نحن نتجرأ على الأمل  
إنهما ينعمان بالحب، وكل واحد منا يغتني بوميضه.  
شكراً يا عشاق.

## عنوانُ البدء

والآنَ، بدأ العملُ  
والآنَ بدأ الفرحُ  
تبدأ سنواتُ التَّجهُّزِ  
لدراسةٍ مملَّةٍ وتعليمٍ مشيرٍ  
خليطٍ من الكلماتِ  
والأفكارِ الكبيرةِ والصغيرةِ المتشابكةِ  
تبدأ في اتخاذِ نظامٍ واضحٍ  
هذا الصباحُ تستطيعُ أن تَرى  
الجزءَ الصَّغيرِ من الكبيرِ  
تستطيعُ أن تلمحَ مساراتَ مستقبلِكِ.  
ساعاتُ تطبيقِكِ  
آمالُ والديكِ  
عملُ معلِّمِكِ  
جميعُ تلكَ الأشياءِ رهنُ يديكِ.  
اليومِ، أنتمُ أمراءُ الصَّبَّاحِ وأميراتهُ  
نساءُ الصَّيْفِ وملوكه  
لقد أظهرتمُ أطيَبَ الفضائلِ  
الآنَ وأنتمُ تجلسونَ وأنتمُ ملتفونَ في جلابيبِ  
أراكم مغمورين بالشَّجاعةِ.  
ولئن كنتم في منتهى الذِّكاءِ  
إلاَّ أنَّه عليكمُ توظيفُ شجاعتكم  
لبلوغِ هذه اللَّحظةِ،

يمكنكم ذلك...

مثلما توصفون في كثير من الأحيان،

ثمّة امتياز، وهو ما يعني بالطبع

أنكم أثرياء، أو ولدتم في صراع مستمر مع الحاجة.

في كلتا الحالتين، كان عليكم أن تتطوروا

وتحلّوا بشجاعةٍ كبيرةٍ

لاختراع هذه اللحظة.

من بين كل صفاتكم، الشباب، الجمال، اللطافة، الرّحمة،

الشجاعة هي أعظم إنجازاتكم، فأنتم من دونها لا تستطيعون ممارسة

أي فضيلة أخرى باتساق.

والآن بعد أن أظهرتم

أنكم قادرون على اصطناع

تلك الفضيلة العجيبة،

يجب أن تسألوا أنفسكم،

ماذا سنفعل بها؟

تأكد من هذا السؤال

هو كامنٌ في عقلك

الشيوخ ووالداك وغرباء

من لا يعرف أسماءك

زملاؤك الطلاب الذين

- العام المقبل، أو في السنوات القادمة-

سيجلسون في مكانك

ويطرحون نفس السؤال

ماذا ستفعل؟

هناك قول مأثور إفريقي يليق بحالتك.  
هل أنت مستعدٌ للعمل  
لتجعل من هذه البلاد بلاداً لنا جميعاً  
أفضل مما هي عليه الآن؟  
لأجل ذلك الهدف، علينا العمل  
لهذا السبب أنت تعملُ بجدٍّ، مقدِّماً تضحياتٍ كثيرةً  
من الطَّاقةِ والوقتِ  
من أموالِ والديك  
أو الحكومةِ التي تدفعُ  
كي تغيِّرَ من بلادكَ ومن عالمك.  
انظر خلفَ قبَّعتك  
وسترى اللّاعدالةَ.  
وعندَ نهايةِ أصابعك  
سوفَ تجدُ الفظاعات  
الكراهيةِ اللاعقلانيَّةِ،  
الأسى القائمَ  
الوحدةَ المريعةَ  
هناكَ تكمنُ مهمَّتكَ.  
فلتحدثِ تغييراً  
استغلِ الدَّرَجَةَ التي جنيتها لإرساءِ فضائل أكبر  
في عالمك.  
شعبكم، كلُّ الشَّعبِ  
آملونَ في أنكم من سيحقِّقُ الهدفَ.  
الأمرُ ممتدُّ.

الحاجة هائلة.

لكن يمكنك أن تستمدَّ شجاعتك.

لقد أظهرتم شجاعتكم للتو

فلترسخ في أذهانكم

أنَّ فرداً واحداً، بهدفٍ جيِّدٍ،

يشكلُ الأغلبية.

بما أنَّ الحياة هي هديتنا الأسمى

وبما أنَّها وُهبَت لنا لنعيشَ مرَّةً واحدةً،

دعونا نعيشُ بلا ندمٍ

سنوات اللاجدوى والخمود

ستفاجؤون أنَّه من الوقتِ

أنَّ سعي المرءِ بمفردهِ مصيره النسيان

وأنَّ الليالي المرهقة والحزينة

- أيضاً - مصيرها النسيانُ

ستفاجؤون أنَّ سنواتِ الصَّحوِ ستذروها الأيَّامُ

وتلتحق «بالأيَّامِ الخوالي الجميلة».

تأهبُّوا لزيارتها ولو بدعوةٍ

ما دمتَ مُجبِراً على مواجهةِ حضورك.

أنتم مستعدُّون

انصرفوا لتغيير عالمكم

رحبوا بنجاحكم

هنيئاً لكم

## الشعرُ

أن أفتحَ ذراعيَّ بطلاقةٍ  
في وجهِ الشَّمسِ،  
أن أرقصَ وأحومَّ في المكان  
حتَّى يتلاشى النُّهار.  
أن أرتاحَ في المساءِ الشَّاحِبِ...  
حيثُ الشَّجرةُ الرقيقةُ والطَّويلةُ...  
الليلُ يأتي على مهلٍ  
أسودُّ مثلي تمامًا.

لانغستون هيوز

إذا كان لدى العديد من الشعراء الأفارقة والعديد من الشعراء الأمريكيين من أصل أفريقي موضوع واحد، فمن المؤكد أنه «ألا يرغب الجميع في أن يكون... أسود مثلي؟» يبتهج الشعراء السود بلون بشرتهم، ويغمرون أياديهم الوردية في أعماق السواد ويرسمون أنفسهم بشكل احتفاليّ بجوهر أسلافهم.

كتبَ إيمي سيزار متحدِّثًا عن الأفارقة:

هؤلاء الذين لم يخترعوا البارودَ ولا البوصلةَ

هؤلاء الذين لم يكتشفوا البخارَ ولا الكهرباءَ

هؤلاء الذين لم يكتشفوا البحارَ ولا السَّماءَ

من دونهم، ما كانت الأرضُ لتكونَ أرضًا..

زنجيتي ليست صخرةً، تلقي صلابتها على ضجيجِ اليوم

زنجيتي لا تتحدَّثُ عن الماءِ الميِّتِ على عينِ الأرضِ الميِّتِ،

زنجيتي ليست برجًا أو كاتدرائيَّةً...

إنها تثقب الكآبة المبهمة بصبرها القائم...

كانَ سِزار يكتبُ بنفسِ الرُّوحِ التي ألهمتِ الشَّاعرَ مالفين تولسون كتابةً:

ما من أرضٍ يمكنها أن تقولَ للزنجيين اليوم:

أنتم تخذعونَ الفقراءَ بحكايات الأثرياء

وتتركونَ للعمالِ دلاءَ فارغةً للعشاء.

من أرضٍ يمكنها أن تقولَ للزنجيين اليوم:

أنتم ترسلون صهاريجَ تفجيرِ اللهبِ،

مثل أسرابٍ من الذباب

وتضخونَ الجحيمَ من السماء

التي تنفجرُ بالديناميت.

أنتم تملؤونَ المدنَ بالجثثِ المذبوحةِ بالرصاصِ

أرضِ اللأبشرِ، حيثُ يبكي الأطفالُ طلباً للرَّغيفِ.

تقذفُ ماري إيفانز روحاً في الأمريكيين من أصولٍ إفريقيَّةٍ بشكلٍ عامٍّ وفي النساءِ

الإفريقيَّاتِ بشكلٍ مخصوصٍ في قصيدتها، أنا امرأةٌ زنجيَّة:

أنا امرأةٌ ببشرةٍ سوداءَ

طويلةً مثلَ شجرةِ السروِ

قويَّةً وأتعدى كلَّ المفاهيمِ

ما زلتُ أواجهُ المكانَ والزَّمانَ والظُّروفَ

منيعةً

ومحصنةً

انظروا إليَّ

بنظرةٍ جديدةٍ

في الواقعِ، كانَ عرضُ الشعراءِ الزنجيِّ للقمعِ مستوحى من كتابِ نهضة هارلم. لقد بشرَ

الشعراءُ الأمريكيون السود بسوادهم حاملين لونهم مثل الرايات إلى عالمِ الأدبِ الأبيض.

عندما أصبحت قصيدة لانغستون هيوز، «لقد عرفت الأنهار»، صرخة حاشدةً للأمريكيين

السود ليفخروا بلونهم، وصلت أصداء هذا الموقف إلى الأفارقة في المستعمرات الفرنسية والبريطانية آنذاك.

من المؤكّد أنّ قصيدة سترلنغ براون «رجالٌ أقوياء» أثرٌ كبيرٌ في الشعراء الأفارقة:

سرقوكم من الوطنِ

وباعوكم في أصفادٍ

باعوكم

جلدوكم

وسموكم

جعلوا من نسائكم خادِمات

ربطوا أرقامكم باللُّقطاء.

غنّيتم، استمروا في المشي مثل الدّودةِ

غنّيتم، امشوا معاً أيُّها الأطفال ولا تقلقوا

الرّجالُ الأقوياء ما زالوا قادمين

الرّجالُ الأقوياء يزدادون قوّةً

كانت تلك القصيدة، و«البيوت البيضاء» لكلود مكاي و«تراث» لكونتي كولين أضواءً موجهة للشعراء الأفارقة المستعمرين. كان للأفارقة في منطقة البحر الكاريبي وفي القارة الأفريقية الكثير من القواسم المشتركة مع نظرائهم الأمريكيين السود. كان لديهم مهمة شاقة للكتابة باللغة الاستعمارية، الشعر الذي عارض الاستعمار. وهذا يعني أنه كان عليهم أن يأخذوا مدفعية العدو للتقليل من قوّته. كانوا يقصدون الذهاب أبعد. كانوا يأملون ببلاغة وشغف كسب العدو إلى جانبهم.

ما زالَ الأملُ قائماً. يمكنُ سماعُ ذلكَ في قصيدة لانغستون هيوز «أنا أيضاً ما زلتُ أتغنيّ بأمريكا».

أنا أيضاً، أتغنيّ بأمريكا.

أنا الأبخُ الأشدُّ سواداً.

أرسلوني كي أكل في المطبخِ

حينَ يأتِي الرِّفَاقُ  
لكنني أضحكُ  
وأكل جيداً  
وأنمو بقوةٍ أكبر.  
غداً سأكونُ على الطَّاولَةِ  
حينَ يأتِي الرِّفَاقُ  
لن يتجرأَ أحدٌ على أن يقولَ لي:  
« كل طعامك في المطبخ. »  
بل سيكتشفونَ كم أنا جميلٌ  
وسيستعرونَ بنيرانِ الخزي  
أنا أيضاً، أمريكيُّ

## الجبـل

بمجرد وصولي إلى سان فرانسيسكو، أصبحت ملحدةً. لا يعني الأمر أنني توقفتُ عن الإيمان بالرَّب؛ كل ما في الأمر أنني لم ألحظ وجوداً للرَّب حول الأحياء التي كنت أتردد عليها. إلى أن عرفني مدرس الصوت على دروس في الحقيقة، نشرتها مدرسة الوحدة للمسيحية العملية.

قامَ فريديريك ويلكرسون، مدرس الصوت، باستدعاء مغني الأوبرا، ومغني الملهى الليلي، وفناني التسجيل، وفناني الكباريه بين طلابه. مرة في الشهر دعانا جميعاً للاجتماع والقراءة من دروس في الحقيقة.

في إحدى القراءات، جلست أنا والطلاب الآخرون، وجميعهم ذوو بشرة بيضاء، متحلِّقين. طلب مني السيد ويلكرسون قراءة مقطع انتهى بعبارة «الله يحبني». قرأت المقطع وأغلقت الكتاب. قال المعلم، «اقرئيه مرة أخرى». فتحت الكتاب بوضوح وقرأت ساخرة: «الله يحبني». قال السيد ويلكرسون: «مرة أخرى». تساءلت عما إذا كنت مهياًة لكي يتم السخرية مني من قبل مجموعة البيض التي معي؟ بعد حوالي التكرار السابع شعرت بالتوتر وظننت أنه قد يكون هناك القليل من الحقيقة في البيان. كان هناك احتمال أن الله أحبني حقاً، أنا مايا أنجلو. بدأت فجأة في البكاء من خطورة وعظمة كل ذلك. كنت أعلم أنه إذا أحبني الله، فيمكنني فعل أشياء رائعة، ويمكنني تجربة أشياء جميلة، وتعلم أي شيء، وتحقيق أي شيء. فما الذي يمكن أن يقف ضدي، إذ أن الأغلبية عند الله هي شخص واحد؟

هذه المعرفة تذلني اليوم، وتدوّب عظامي وتغلق أذني وتجعل أسناني تتأرجح في لثتي. كما أنها تُحررني. أنا طائر كبير مجنح يُحلّق فوق الجبال العالية، نزولاً إلى الوديان الهادئة. أنا موجات من الأمواج في البحار الفضية. أنا ورقة الربيع أرتجف تحسباً للنمو الكامل.

في جميع المؤسسات أحاول أن أكون حاضرةً ومسؤولةً عن كل ما أفعله وأتجنب التراجع إلى الخلف. أعلم أنه في النهاية يجب أن أكون حاضرةً وخاضعةً للمساءلة في حضور الله.

## حافظ على إيمانك

ما تزال ثمة أشياء كثيرة تدهشني، حتى في العقد السابع من عمري. أشعر بالدهشة أو على الأقل أتفاجأ عندما يقترب الناس إليّ ودون أن يتم استجوابي يخبروني أنهم مسيحيون. إجابتي الأولى هي السؤال «إلى الآن؟»

يبدو لي أن تصبح مسيحياً هو مسعى يستمر مدى الحياة. أعتقد أن هذا صحيح أيضاً بالنسبة إلى من يريد أن يصبح بوذياً، أو مسلماً، أو يهودياً، أو جاينياً، أو طاوياً. يعرف الأشخاص الذين يسعون لعيش معتقداتهم الدينية أن الحالة المثالية لا يمكن الوصول إليها والاحتفاظ بها إلى الأبد. في البحث نفسه يجد المرء النشوة.

كان الكساد، الذي كان من الصعب على الجميع البقاء على قيد الحياة، متعلقاً على وجه الخصوص بامرأة سوداء واحدة في الولايات الجنوبية ترعى ابنها البالغ المصاب بالشلل وتربية اثنين من أحفادها الصغار.

واحدة من أقدم ذكرياتي عن جدتي، التي كانت تُدعى «ماما»، هي لمحة عن تلك المرأة الطويلة ببشرتها البنية التي تشبه لون القرفة وبصوتها العميق والناعم، واقفة على ارتفاع آلاف الأقدام في الهواء من دون أن يظهر أي شيء تحتها.

كلّما واجهت تحدياً، كانت ماما تشبك يديها خلف ظهرها، وتنظر إلى الأعلى كما لو كانت ستدخل السماء بنفسها، وترسم نفسها إلى ارتفاعها الكامل البالغ ستة أقدام. كانت تخبر عائلتها بشكل خاص، والعالم بشكل عام: «لا أعرف كيف أجد الأشياء التي نحتاجها، لكنني سأخطو إلى كلمة الله. أحاول أن أكون مسيحيةً وسأبدأ بكلمة الله». على الفور استطعت أن أراها تتساقط في الفضاء، وأقمار عند قدميها ونجوم على رأسها، ومذنبات تدور حول كتفيها. وبطبيعة الحال، حيث كان طولها أكثر من ستة أقدام، ووقفت على كلمة الله، كانت عملاقة في الجنة. لم يكن من الصعب عليّ أن أرى ماما قوية، لأنها كانت تحمل كلمة الله تحت قدميها.

بعد سنواتٍ من التفكير في جدتي، كتبت أغنية إنجيلية غنتها جوقة المسيحيين الجماعية:

«قلتُ إنه عليّ أن أستلقي على ذراعيك

وها أنا أستلقي  
أمرتني بأن أثق في حبك لي  
وها أنا أثقُ  
أمرتني بأن أنطقَ باسمكِ  
وها أنا أناديكِ بهِ  
ها أنا أقفُ عندَ كلماتكِ»

كلما بدأت في التساؤل عما إذا كان الله موجودًا، نظرتُ إلى السماء وبالتأكيد هناك،  
هناك، بين الشمس والقمر، حيثُ تقفُ جدتي وتغني بترنيمه طويلة، أغنية في مكان ما بين  
أنين وتهويد وأنا أعلم أن الإيمان دليل على الأشياء غير المرئية.  
كلُّ ما عليَّ فعله هو أن أواصل في محاولة أن أكون مسيحيَّةً.

**انتهى**